زوجات الأنبياء والرسل

منصور عبد الحكيم

المكتبة التوفيقية

Scanned by CamScanner

زوجات الأنبياء والرسل

منصور عبد الحكيم

المكتبة التوفيقية
المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن الحمد لله نحـمده ونستغفـره ونستهديه ونعوذ بـالله من شرور أنفسنا وسيـئات أعمالنا، إنـه من يهديه الله فلا مضـل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له وأشهد أن محمدًا عـبده ورسوله وصفيه وخليله ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فجزاه الله خير الجزاء.. وصلى اللهم وسلم على آل بيته الطاهرين وعلى أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.. ثم أما بعد:

فإن للمـرأة منذ أن خلق الله آدم وحواء لدورًا هامًا فى حـياة الرجل.. فهى الأم والأخت والزوجة والابنة، وإن قصص زوجات الرسل والأنبياء لخير دليل على مكانـة المرأة فى حيـاة الرجـال.. فـالأنبـياء والرسل هـم صفـوة الخلق..

ونحن حين نـسرد القصص نسـتلهم منها العـبر والعظة، فلقـد جاءت قصص الأنبـياء من مواقف مـتفارقـة متباينة لزوجـات الرسل، منهن من آمن وجاهد وآخريات كفرن وحاربن الله ورسله، ولكن اللاتى كفرن وحاربن أنبياء الله قلة قليلة ذكرهن الله فى قرآنه وضرب بهن مـثلاً للذين كفروا.. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1] ورغم قلة المصادر المتاحـة لدينا حول أسماء هؤلاء الزوجات وتاريخهن قـبل أن يلتحقن ببـيت النبـوة إلا أننا سوف نسـتلهم المواقف التـى أثرت فى أزواج أنبيـاء الله ورسله.

ونسأل الله العون والسداد وصلى اللهم على سيدنا مـحمد وآله وصحبه وسلم.

منصور عبدالحكيم محمد

المحامى

---

(١) سورة التحريم: ١٠ .

Scanned by CamScanner

١

الأم الأولى

حواء أم البشر
زوجة أبو البشر
آدم عليه السلام

Scanned by CamScanner

أول امرأة فى تاريخ الإنسان

خلق الله آدم عليه السلام بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الله سبحانه ملائكته بالسجود لهذا المخلوق سجود تكريم وتحية، وليس سجود عباده كما يظن بعض الجهال، وسجدت الملائكة كلهم طاعة لأمر الله، وكان ضمن الحاضرين لهذا المشهد الجليل أحد أبناء الجن «إبليس» فلم يسجد ظنًا منه أنه أفضل من آدم عليه السلام، وعصى أمر الله بالسجود حينما ناقشه المولى عز وجل فى ذلك وأصر إبليس على موقفه.. قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[1] وعاش آدم عليه السلام فى الجنة بعد أن طرد الله سبحانه وتعالى منها إبليس عليه لعنة الله لعصيان أمر الله قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2] وقبل دخول آدم الجنة للعيش فيها خلق الله سبحانه وتعالى حواء ليسكن إليها، وكان خلقها من أحد أضلاع آدم عليه السلام اليسرى [3].

وعن قصة خلق حواء يروى ابن كثير أثراً عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة. فكان يمشى

---

(١) سورة الكهف (٥٠).

(٢) سورة ص (٧١ -٨٥).

(٣) ذكره محمد بن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنه وأورده ابن كثير في قصص الأنبياء.

Scanned by CamScanner

فيها وحشيًا ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه.

فسألها : ما أنت؟

قالت : امرأة.

قال : ولم خلقت؟

قالت : لتسكن إليَّ.

فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم؟

قال : حواء.

قالوا : ولم كانت حواء؟

قال : لأنها خلقت من شيء حي [1].

قال تعالى: ﴿ **يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الَّذى خلقَكُم مِن نَفْسٍ واحدة وخلقَ منها زوجها وبثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقُوا اللهَ الَّذى تساءلُونَ به والأرحام إنَّ اللهَ كان عليكُم رقيبًا** ﴾ [2].

وقد روت السنة أيضاً أن المرأة أصلها من ضلع، والضلع أعوج قال ﷺ «**استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن إعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً**» رواه البخارى وهذا لفظه ورواه مسلم والترمذى وابن ماجه.

وعاش آدم وحواء فى الجنة ينعمان بنعيمها، حياة لا تعب فيها ونصب. وقد اختلف المفسرون حول الجنة التى سكنها آدم وحواء هل هى جنة الخلد أو جنة المأوى؟ هل هى التى فى السماء أو جنة من جنات الأرض؟.

(١) ذكره ابن كثير فى تاريخه وقصصه عن السدى عن أبى صالح وأبى مالك عن ابن عباس عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابه ﷺ.

(٢) سورة النساء (١).

ذهب الجمهور على أنها جنة الخلد التى فى السماء.. ولقد أبهم الله ذكرها ولو كان فى ذكرها فائدة ترجى تعود علينا لذكرها. كذلك الأمر بالنسبة إلى الشجرة المحرمة التى حرم الله على آدم وزوجته حواء أن يأكلا منها فكل شيء فى الجنة مباح سوى تلك الشجرة ابتلاء من الله لهما وليقضى أمراً فيهما وذريتهما.

قال تعالى: ﴿ **وقُلنا يا آدمُ اسكُنْ أنت وزوجُك الجنة وكُلا منها رغدا حيثُ شئتُما ولا تقربا هذه الشجرة فتكُونا من الظالمين** ﴾ [1].

وحذر الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام من إبليس وأخبره أنه عدو له، وأنه إذا خرج من الجنة سوف يشقى فى العيش على الأرض ولكن آدم نسى بعد طول مكثه فى الجنة قال تعالى: ﴿ **فقُلْنا يا آدمُ إنَّ هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يُخرجنَّكما من الجنة فتشقى -١١٧- إنَّ لك ألاَّ تجُوع فيها ولا تعرى -١١٨- وأنَّك لا تظمأُ فيها ولا تضحى** ﴾ [2].

وبدأ الشيطان بالوسوسة وهو أمرٌ خفى يسرى فى الوجدان إذا لم تطرده من أول وهلة تمكن منك، ولكن كيف للشيطان أن يدخل الجنة وقد طرده الله عز وجل منها.. أشار إلى ذلك المفسرون.. بأن الحية هى الحيوان الوحيد الذى رضى أن يساعد إبليس عليه اللعنة فى الوصول إلى الجنة كى يوسوس لآدم عليه السلام وكانت ذات قوائم أربعة فدخل فيها ثم دخلت الحية إلى الجنة وكلم آدم وحواء.. ﴿ **فوسْوسَ إليْه الشَّيْطانُ قالَ يا آدمُ هلْ أدُلُّك علَىٰ شجرة الْخُلْد ومُلْك لاَ يبْلَىٰ** ﴾ [3]. ثم حلف لهما أنه لهما من الناصحين وأقسم على ذلك، ولم يكن يظن آدم عليه السلام أن هناك مخلوقاً يحلف كذباً.

إنها النصيحة الشيطانية.. الملك الذى لا يبلى.. والمقصود أن يكون آدم مثل الملائكة يعيش مثلهم فى عبادة الله، وللوصول إلى هذا الهدف أمر سهلاً

(١) سورة البقرة (٣٥).

(٢) سورة طه (١١٧ - ١١٩).

(٣) سورة طه (١٢٠).

Scanned by CamScanner

هو الأكل من هذه الشجرة.

ولكنها الشجرة التى حرمها الله عليهما.. وظل الشيطان يوسوس لآدم وحواء حتى اقتنعا بالفكرة الشيطانية، ونسى آدم عليه السلام تحذير ربه جل وعلا من أن الشيطان عدو له ولزوجته، والعدو لا تأخذ منه النصيحة.

ولكن حواء كانت عوناً للشيطان على آدم وتقدمت حواء فأكلت من الشجرة ثم قالت : يا آدم كل فإنى أكلت فلم يضرنى [1].

وما أن أكل آدم عليه السلام من ثمار الشجرة حتى بدت لهما سوءاتهما، وكان هذا هدف الشيطان الأسمى فقد كان يعلم أنه إذا أكل آدم وحواء من ثمار الشجرة سوف يبدو لهما سوءاتهما وكذلك يفعل مع ذرية آدم عليه السلام حتى الآن.

وطفق آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة كى يوارى سوءاتهما قال تعالى: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴿٢٠﴾ وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ﴿٢١﴾ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ [2].

وقال آدم : يارب أطعمتنى حواء.

قال لحواء : لم أطعمته؟

قالت : أمرتنى الحية.

قال للحية : لم أمرتها.

قالت : أمرنى إبليس.

قال : ملعون مدحور.

(١) تاريخ الطبرى بتصرف.
(٢) سورة الأعراف (٢٠ - ٢٢).

قال لحواء : أما أنت ياحواء فكما أدميت الشجرة تدمين فى كل هلال وأما أنت ياحية فأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك وسيشرخ رأسك من لقيك بالحجر اهبطوا بعضكم لبعض عدو [1].

وقد يقول قائل : من السبب فى خروج آدم عليه السلام من الجنة؟

هل هى حواء؟

الحقيقة أن القرآن الكريم وما ذكر من السنة الصحيحة أن الشيطان قد وسوس لآدم وزوجته قال تعالى: ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾ [2] وقال أيضاً ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [3].

إذن.. فالمسئولية مشتركة بين آدم وحواء.. ولكن حواء هى التى بدأت وشجعت وخرج آدم وحواء من الجنة بتلك المعصية بعد أن تاب الله عليهما قال تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [4].

وكانت تلك الكلمات هى قوله تعالى: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [5] وليس كما يدعى البعض أن آدم عليه السلام قال يارب أسألك بحق محمد ألا غفرت لى [6].

وهبط آدم وحواء وإبليس والحية.. أعداء بعض ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [7] وكان ذلك يوم الجمعة. قال ﷺ «إن فى الجمعة خمس خلال : فيه خلق آدم وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة لا يسأل العبد

(١) تاريخ الطبرى بتصرف.
(٢) سورة البقرة (٣٦).
(٣) سورة طه (١٢٠).
(٤) سورة البقرة (٣٧).
(٥) سورة الأعراف (٢٣).
(٦) ورد فى ذلك حديث ضعيف رواه الطبراني وضعفه أحمد الدارقطنى وابن كثير فى قصص الأنبياء والذهبى والصحيح ماجاء فى القرآن.
(٧) سورة البقرة (٣٦).

Scanned by CamScanner

ربه شيئاً إلا أعطاه إياه، مالم يسأل إثمًا أو قطيعة، وفيه تقوم الساعة وما من ملك مقرب ولا سماء ولا جبل ولا أرض ولا ريح إلا مشفق من يوم الجمعة»[1].

وما دلت به السنة عن مسؤلية حواء تجاه ما حدث لآدم ما رواه البخارى ومسلم وأحمد عن أبى هريرة أنه ﷺ قال: «**لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها**».

وقال ابن كثير فى قصص الأنبياء نقلاً عن أهل الكتاب إن الذى دل حواء على الأكل من الشجرة هى الحية وكانت أحسن الأشكال. وأعظمها فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام.

والذى نراه أنهما شريكان وإن كانت حواء هى البادية - لأن القوامة دوماً للرجل.

وحين نزل آدم إلى الأرض.. أهبط بالهند وحواء بجدة.. ونزل آدم ومعه الحجر الأسود وبعض أوراق الجنة فبثها فى الهند.. وأهبط إبليس بدستمان من البصره على أميال، وأهبطت الحية بأصبهان[2].

وعن ابن عباس ﷺ قال: خرج آدم من الجنة بين الصلاتين: صلاة الظهر وصلاة العصر فأنزل إلى الأرض وكان مكثه فى الجنة نصف يوم من أيام الآخرة وهو خمسمائة سنة من يوم كان مقداره اثنتى عشرة ساعة. واليوم الف سنة مما يعد أهل الدنيا[3].

وتقابل آدم وحواء وتعارفا بعرفات ثم إزدلف إليها بمزدلفة، واجتمعا بجمع. هذا ما ذكره أصحاب السير والتاريخ وعاش آدم وحواء على الأرض

(١) ذكره الطبرى فى تاريخه عن سعد بن عبادة وذكر أيضاً روايات أخرى بنفس الحديث ورواه مسلم فى صحيحه.

(٢) طبقات ابن سعد. وذكره ابن كثير أيضًا فى القصص.

(٣) ذكره الطبرى في التاريخ وقال: وهذا أيضاً قول خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن السلف من علمائنا.

بعد أن ندما وطلبا الصفح والغفران من ربهما وتاب عليهما.. لكن حياتهما على الأرض غير التى كانت فى الجنة.. إنها حياة الشقاء والكد والتعب، وقد زود الله آدم عليه السلام من ثمار الجنة ما يقرب ثلاثون نوعاً. وتعلم آدم عليه السلام الصناعة والزراعة على الأرض. ودله الله سبحانه على البيت الحرام أول بيت وضع لله على الأرض، وطاف به كما علمته الملائكة من قبل حين كان يراها تطوف حول العرش.

وعاشت حواء مع زوجها آدم على الأرض تعاونه وتساعده وقد تعلما الدرس والموعظة.. وجاءت منهما الذرية فإن أبا البشر خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه الأسماء كلها وأسكنه جنته، وجعل منه الذرية كلها إلى يوم القيامة.

وقد رأى رسول الله ﷺ آدم عليه السلام فى رحلة الإسراء والمعراج وهو فى السماء الدنيا قال له: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح. قال - أى رسول الله ﷺ: وإذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، فقلت: ياجبريل ماهذا؟. قال: هذا آدم وهؤلاء نسب بنيه، فإذا نظر قبل أهل اليمين - وهم أهل الجنة - ضحك، وإذا نظر قبل الشمال - وهم أهل النار - بكى [1].

جاءت الذرية بأن آدم عليه السلام والذى عاش كما جاء فى كتب السير والتاريخ ألف عام على الصحيح، كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر. فقد كانت حواء تنجب فى كل مرة تؤامين ذكر وأنثى، فيحرم على الذكر أن يتزوج تؤامه الأنثى وإنما يتزوج أنثى التؤام الآخر وهكذا جاءت الذرية، وأنجبت حواء قابيل وأنثى، ثم هابيل وأنثى، وقيل أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن أولهم قابيل وتؤمته قليما، وآخرهم عبدالمغيث وتؤمته أمة المغيث [2].

(١) رواه البخارى ومسلم وذكرناه بمعناه.

(٢) الطبرى فى تاريخه.

Scanned by CamScanner

وسمى أهل الكتاب قابيل «قينا» وكان هابيل يشتغل برعى الغنم والإبل وأخوه قابيل يشتغل بالزراعة، وطلب قابيل وهابيل الزواج من أبيهم آدم عليه السلام فأمر قابيل أن يتزوج أخت هابيل وأن يتزوج هابيل توءم قابيل.. لكن قابيل رفض ذلك وأراد أن يتزوج بأخته التى هى توءمه التى ولدت معه وذلك لا يجوز وقتها وأصر قابيل على موقفه ورأيه وقال هى أختى ولدت معى.

وذهب آدم إلى مكة كى يزور بيت الله الحرام كما أمره بذلك فى حينه، وطلب آدم من ابنه الأكبر قابيل أن يكون الأمين على أولاده بالأمانة فوافق، وسافر آدم إلى البيت الحرام بمكة وترك بنيه ولم يتم الزواج كما أراد، واحتكم الأخوين إلى الله لحل أول مشكلة تطرأ بينهما على الأرض.. فاتفقا أن يقرب كل منهما قربان لله فإذا أتت النار على قربان أحدهم كان الحق معه، وقدم هابيل أفضل ما عنده من الماشية وقدم قابيل من الزرع الذى يزرعه وقيل حزمة سنابل، فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل، فغضب قابيل لذلك وتوعد أخيه بالقتل. فقال له هابيل : ماذنبى!! إنما يتقبل الله من المتقين.

وسولت له نفسه - أى قابيل - قتل أخيه، فألقى عليه حجراً وهو نائم فأرداه قتيلاً.. فكان أول من سن القتل على الأرض.. وقف ينظر ماذا يفعل فى جثمان أخيه المقتول.. لا يدرى.. فلم يدفن أحد من أبناء آدم عليه السلام من قبل.. فبعث الله غرابين يقتتلان حتى قتل أحدهما الآخر وقابيل ينظر إليهما وحفر الغراب القاتل بمنقاره ورجليه الأرض حتى وضع الغراب الآخر فى الحفرة ثم واره التراب.. ففعل قابيل مثل ما فعل الغراب، فكان قابيل أول من سن القتل فى بنى آدم، وكان هابيل أول القَتْلَى، فقال ﷺ : **«ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها»** (١).

وجاءت قصة هابيل وقابيل فى القرآن الكريم فى سورة المائدة: ﴿ **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴿٢٧﴾ لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك**

(١) رواه الطبرى فى تاريخه بسنده.

لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين ﴿٢٨﴾ إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴿٢٩﴾ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴿٣٠﴾ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين ﴿٣١﴾ من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون ﴿٣٢﴾ ﴾ (١).

وروى عن ابن عباس ﷺ أنه قال : لما قتل قابيل أخاه هابيل أخذ يد أخته ثم هبط بها من جبل نوذ إلى الحضيض، فقال آدم لقابيل : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن من تراه، فكان لا يمر به أحد من ولده إلا رماه، فأقبل ابن لقابيل أعمى، ومعه ابن له، فقال للأعمى ابنه : هذا أبوك قابيل، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله، فقال ابن الأعمى: قتلت يا أبتاه أباك، فرفع الأعمى يده فلطم ابنه فمات ابنه، فقال الأعمى : ويلى لى : قتلت أبى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى.

ورزق آدم عليه السلام بعد قتل ولده هابيل ابناً آخر على شاكلته وتقواه هو شيث وقد بلغ عمره مائة وثلاثين عاماً، وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنوات، ومعنى شيث «هبة الله» ومعه توامه عذورا، قال له جبريل حين ولدته حواء: هذا هبة الله بدل هابيل، وهو بالعربية «شث»، وبالسريانية «شاث»، وبالعبرانية شيث، وإليه أوصى آدم عليه السلام وأنزل الله على شيث بعد ذلك خمسين صحيفة، قال ﷺ **عندما سأله أبو ذر الغفارى** ﷺ : **كم كتاب أنزله الله عز وجل؟ قال : «مائة كتاب وأربعة كتب أنزل الله على شيث خمسين صحيفة»** (٢).

وصارت الرياسة والنبوة من بعد آدم عليه السلام إلى ابنه شيث عليه السلام.

(١) سورة المائدة (٢٧ - ٣٢).

(٢) أخرجه الطبرى بسنده فى التاريخ.

Scanned by CamScanner

وذكر أن آدم عليه السلام حين مرض المرض الذى مات فيه أوصى إلى ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته ثم أعطاه إياها وأمره أن يخفيها عن أخيه قابيل وولده، لأن قابيل قتل أخاه هابيل حسداً منه حين خصه آدم عليه السلام بالعلم. وأخفى شيث عليه السلام هذا العلم الذى تركه له والده فى ذريته دون قابيل وذريته. . وجاءت الملائكة رسل الله عز وجل لقبض روح آدم أبى البشر عليه السلام ومعهم كفن من الجنة وغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى وتر من الثياب، ثم لحدوا له فدفنوه ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده. وصلى عليه ابنه شيث وكبر أربعاً، وقيل كبر عليه ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهى الصلاة والخمس والعشرين فتفضيلاً لآدم عليه السلام.

وقد اختلف فى موضع قبر آدم عليه السلام وحواء التى ماتت بعد عام واحد ودفنت معه، فقيل دفن بمكة فى غار أبى قبيس يقال له الكنز وقيل فى الجبل الذى هبط عليه من الجنة بالهند، وعن ابن عباس ﷺ قال : لما خرج نوح من السفينة دفن آدم عليه السلام ببيت المقدس. فقد قيل أن نوح حمل جثمان آدم وحواء عند الطوفان فى السفينة ثم دفنهما فى بيت المقدس أو أعادهما مكانهما والله أعلم.

٢

زوجة شيث عليه السلام

حزورة بنت آدم عليه السلام من حواء أم البشر

Scanned by CamScanner

حـزورة بنت آدم عليه السلام

ذكر المؤرخـون القدماء ومنهم ابن إسـحاق ونقله عنه الطبـرى أن حواء ولدت لآدم عليه السـلام أربعون ذكر وأنثى فى عشـرين بطناً، ذكر منهم ابن إسحاق ابعض منهم قابيل توءمتـه قليما، وهابيل وليوذا، ثم واثوث بنت آدم توءمها وشيث وتوءمـته حزوره وذكر ما يقرب من خمسـة عشر رجلاً وأربعة نسوة.

والأسماء لا تـهمنا بقدر ما يهـمنا الدور الذى يلعبه صاحـبه فى تاريخ البشرية، فلقد حـمل شيث عن آدم عليهما السلام أعـباء الدعوة والرسالة من بعد أبيـه بعد أن أوصى إليه، فلـقد كان آدم عليـه السلام نبيـاً مكلماً من الله وكـذلك ولده شيث عليـه السـلام، سئل أبى ذر الغـفاري ﷺ رسـول الله ﷺ : **يانبى الله، أنبياً كان آدم؟ قال : «نعم كان نبياً كلمه الله قبلاً»**(١).

وحين حضر آدم عليـه السلام عهد إلى ابنه شيث وعلمـه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك(٢).

وقال محمد بن إسحاق أن أنـساب بنى آدم كلها تنتهى إلى شيث وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم.

وقال ابن كثـير : فلما مات آدم عليـه السلام قام بأعبـاء الأمر من بعده ولده شـيث عليه السـلام وكان نبـياً بنص الحـديث الذى رواه ابن حبـان فى صحيحه عن أبى ذر مرفوعاً أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.

وتزوج شيث أخـته غير التـوءم حزورة وهو أبن مائة وخمس عـاماً من عمره، فولدت له يانش ونعمه..

وعاش شيث بعد ولادة يانش ثمانمائة وسبع سنين.

---

(١) رواه الطبرى فى تاريخه بسنده.

(٢) ابن كثير رواية عن ابن إسحاق قصص الأنبياء.

Scanned by CamScanner

وقامت الزوجة الصالحة بنت آدم عليهم السلام بأعباء الزوجة المساندة لزوجها، المعينة له على طاعة الله، واستمر نسل أولاد آدم من أولادها.

أما قابيل الذى هرب بأخته التوءم أشوث فولدت له رجلاً وامرأة.. خفوخ وعذب واستمر نسلهما فترة من الزمان ثم انقطع بعد ذلك.. وقد أوصى آدم عليه السلام قبل وفاته ألا ينكح شيث لأولاده من أولاد أخيه قابيل وذلك لما رأى فيهم انتشار الزنا وشرب الخمر والفساد. وهكذا استطاع شيث وزوجته حزورة من الحفاظ على طهارة نسبهما من الفساد الذى سرى فى ذرية الابن العاق قابيل بن آدم.

وقام ابن شيث «أنوش» بسياسة أبية من بعده وسار على نهجه، وعاش تسعمائة سنة وخمسين كما ذكر ذلك أهل التوراة.

وقال ابن عباس ﷺ : ولد شيث أنوش ونفراً كثيراً، وإليه أوصى شيث ثم ولد لأنوش بن شيث بن آدم، ابنه قينان من أخته نعمة أبنة شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر أنوش ومن عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وعشرين سنة.

وأما ابن إسحاق فإنه قال : نكح يانش بن شيث أخته نعمة ابنه شيث، فولدت له قينان، ويانش يومئذ ابن تسعين سنة فعاش يانش بعد ما ولد له قينان ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة، وولد له بنون وبنات فكان كل ما عاش يانش تسعمائة سنة وخمس سنين. ثم نكح قينان بن يانش وهو ابن سبعين سنة. دينة ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم. فولدت له مهلائيل بن قينان فعاش قينان بعد ما ولد له مهلائيل ثمانمائة سنة وأربعين سنة، فكل ما عاش تسعمائة سنة وعشر سنين.

ومن مهلائيل كان ابنه يارد الذى آلت له الوصية ومنه ابنه أخنوخ وهو إدريس النبى عليه السلام.

٣

زوجة نبى الله إدريس عليه السلام

هدّانة ابنة باويل

Scanned by CamScanner

زوجة إدريس عليه السلام

قال أهل التاريخ والتفسير: إن أخنوخ هو إدريس عليه السلام، وهو فى عمود نسب النبى ﷺ على ما ذكره غير واحد من علماء النسب [١].

وقال ابن إسحاق: انه أول من خط بالقلم وأدرك من حياة آدم عليه السلام ثلاثمائة سنة وثمانين سنة وقيل أنه المقصود بحديث معاوية بن الحكم السلمى لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرمل فقال: «**إنه كان نبى يخط به فمن وافق خطه فذاك**»[٢] ويزعم كثير من علماء التفسير أنه أول من يتكلم فى ذلك ويسمونه هرمش الهرامسه ويكذبون عليه أشياء كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء[٣].

فإدريس يرجع نسبه حسبما جاء فى تاريخ الطبرى إلى أبيه يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. وتزوج إدريس عليه السلام من هدّانة ويقال لها أيضاً: أدّانة بنت باويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام. ولدت له بنون وبنات وعاش ثلاثمائة وخمساً وستين سنة ثم مات[٤]. والوصى من بعده ابنه متوشلخ.

وذكر البخارى عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس عليه السلام ولم يرجح ذلك ابن كثير. واستدل من قال أن إلياس هو إدريس ما جاء فى حديث الزهرى عن أنس فى الإسراء: أنه مر به عليه السلام قال له: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم: مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح. قالوا: فلو كان فى عمود نسبه لقال كما قالا له.

---

(١) ابن كثير والطبرى فى التاريخ.
(٢) ابن كثير فى القصص.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الطبرى فى تاريخه نقلاً عن ابن إسحاق.

Scanned by CamScanner

وقال ابن كثير رداً على ذلك: وهذا لا يدل ولابد، لأنه قد يكون السراوى حفظه جيداً، أو لعله قال على سبيل الهضم والتواضع، ولم يتنصب له في مقام الأبوة كما انتصب لأدم أبى البشر، وإبراهيم هو خليل الرحمن وأكبر أولى العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وسلسلة نسب إدريس كما ذكرنا من لدن آدم عليه السلام إلى حفيده يرد متصلة فى علم الأنساب. وهم الأوصياء على ماعاهد الله عليه آدم عليه السلام من حمل الأمانة والتوحيد.. فهم بمثابة الأنبياء والأولياء فقد تزوج شيث أخته حزورة وتزوج أبنه أنوش من أخته نعمة وولدت له قينان الذى تزوجة دينة ابنة براكيل التى ولدت له مهلائيل وولد لمهلائيل ابنه يرد، وقد تزوج مهلائيل من خالته سمعن ابنة براكيل. وتزوج يرد بن مهلائيل من بركنا ابنة الدرميل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام وولدت له إدريس عليه السلام.

وقيل ان أول من ركب الخيل هو إدريس عليه السلام كما هو أول من خط بالقلم كما ذكرنا، وعاش إدريس عليه السلام على وصية أبيه وأجداده الأوصياء أولاد آدم عليه السلام بالتوحيد ومعه زوجته معاونة له، فقد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية، وذكر المفسرون أن إدريس عليه السلام رفع إلى السماء الرابعة وقد حان أجله فقبض ملك الموت روحه هناك وذلك تفسير قوله تعالى ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ وقال ابن كثير تعليقاً على ذلك الكلام: إنه من الإسرائيليات.

وأورد الطبرى فى التاريخ خبراً مرفوعاً عن أبى ذر الغفارى عن النبى ﷺ قال: يا أبا ذر أربعة - يعنى من الرسل - سريانيون: آدم وشيث ونوح وأخنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله على أخنوخ ثلاثين صحيفة» وقد زعم بعضهم أن الله بعث إدريس إلى جميع أهل الأرض فى زمانه وجمع له علم الماضيين، وأن الله عز وجل زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة، قال فذلك

قول الله عز وجل: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى ﴿١٨﴾ صحف إبراهيم وموسى ﴿١٩﴾﴾[1].

وقالت اليهود: ان ولد يرد أخنوخ فنباه الله عز وجل وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، وهو أول من خط بعد آدم وجاهد فى سبيل الله وقطع الثياب وخاطها وأول من سبى من ولد قابيل، فاسترق منهم، وكان وصى والده «يرد» فيما كانوا آباؤه أوصوا به إليه، وفيما أوصى به بعضهم بعضاً وذلك كلمة من فعله في حياة آدم. وقد توفى آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أخنوخ ثلاثمائة سنة وثماني سنين تتمة تسعمائة وثلاثين سنة التى ذكر أنها عمر آدم.

ودعا إدريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله ومعصية الشيطان، وألا يخالطوا ولد قابيل، فلم يقبلوا منه وكانت المعصية، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قابيل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾[2].

وروى جماعة من السلف أن الكفر بالله حدث فى القرن الذى بعث فيه نوح كما سنعرف فيما يأتى إن شاء الله تعالى.

(١) سورة الأعلى (١٨ ـ ١٩).
(٢) سورة البقرة (٢١٣).

Scanned by CamScanner

٤

زوجة نـــوح عليه السلام

عمذرة ابنة براكيل

Scanned by CamScanner

امـــراة نـــوح عليه السلام

الزوج نبى رسول من سلالة طاهرة نقـية إنه نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ - إدريس - بن يرد بن مهلائيل بن قين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

قالوا: إن بينه وبين آدم عليه السلام مائة وستة وعـشرون عاماً كما ذكره الطبرى وغيرة من تواريخ أهل الكتاب.

وذكـر ابـن حـبان فـى صحـيحـه عـن أبي أمـامـة ﷺ «**أن رجـلاً قـال: يارسـول الله أنبى كان آدم؟ قـال : نعم.ملكم. قـال : فكم كان بينه وبين نوح؟ قال : عشـرة قـرون**». قال ابن كثير على شرط مسلم ولم يخرجه.

ومن الممكن أن المقصود بالقرن هو الجـيل كما قال تعالى: ﴿**وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح**﴾ والمهـم أن نـوح بعثه الله تعـالى إلى قومـه بعد أن عبدت الأصنام، وكفر الناس بعبـادة الله الواحد الأحد، فهو أول رسول بعث إلى الأرض.. أمـا من كـان قـبله فـهم أنبـيـاء.. والنبى يرسل إلى قـومـه وينصحـهم ويرشدهم إلى الحق وليس مكلف بلا بـلاغ كالرسول مـثلاً الذى يبعـثه الله إلى قومـه بـرسـالة التوحيـد، ليبلغهم فـإذا لم يستجـيـبوا حق عليهم عذاب الله.

وقيل أن نوح بعث وهو ابن خمسين سنة، وقـيل أكثر من ذلك ثلاثمائة وخمسين عاماً وقال ابن عـباس ﷺ : ابن أربعمائة وثمانين سنة.. كل ذلك لا غرابة فيه ولا فائدة من معرفة الصواب.

الـذى حـدده الـقـرآن الكريم أن نوحـاً ظل فى قومـه يدعـوهم إلى عبـادة الله ألـف سنـة إلا خـمسين قـال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ**

Scanned by CamScanner

قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴿١٤﴾ فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين ﴿١٥﴾ (١)

ولقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.. فماذا حدث؟ كان في قدم نوح رجال صالحون خمسة ذكرهم القرآن الكريم هم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا.. وهم من ذرية آدم عليه السلام، فلما ماتوا.. جزع عليهم قومهم وحزنوا حزناً شديداً، وعكفوا على قبورهم ويتذكرون سيرتهم الصالحة، فجاءهم الشيطان في صورة إنسان وقال لهم: إني أرى جزعكم على هؤلاء الرجال الصالحين فهل أصور لكم صوراً مثلهم فيكونوا في أنديتكم تذكرونهم.. وأعجبتهم الفكرة الشيطانية، وبالفعل صنع لهم الشيطان تماثيل لهؤلاء الصالحين الخمسة، ثم صنع تماثيل صغرى كي يضعونها في بيوتهم.. وانحرف الجيل الذي كان يحي الذكرى وجاء جيل آخر أوحى الشيطان لهم أن يتبركوا بهؤلاء الصالحين ويطلبوا منهم ما يشاءون يدعون أنهم مستجابوا الدعوة عند ربهم، وفعلوا.. ثم عبدوهم صراحة من دون الله.

هذا ماحدث مع قوم نوح وما يحدث في زماننا هذا وفي كل العصور من عبادة الأضرحة بالدعاء إليها وعندها.

وأرسل الله نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد.

ويحكي القرآن مافعله نوح مع قومة وقاله في آيات عديدة وسوره كثيرة في القرآن نذكر منها ما جاء في سورة نوح قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي

(١) سورة العنكبوت (١٤ - ١٥).

آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ (١).

وبعد أن تأكد لنوح عليه السلام أنه لن يؤمن له إلا من قد آمن دعا على قومه وأمره الله أن يقوم ببناء السفينة ليحمل فيها المؤمنين وما أمره الله أن يحمله فيها، حين يغرق الطوفان الكفار فقد دعا نوح ربه قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ سورة نوح. ومن العجيب أن امرأة نوح عليه السلام وهي أم أولاده حام وسام ويام ويافث ويام أو كنعان، لم تؤمن بما جاء به من عند الله واتهمته بالجنون وحرضت عليه قومها، وكذلك ابنه يام أو كما يسمونه كنعان رفض التصديق برسالة أبيه واتبع ملة قومه وأمه.

وذكر الطبري وغيره أن نوحاً زرع الشجر مائة عام ثم قطعه لصناعة السفينة بوحي من الله وكلما مر عليه قومه وهو يصنع السفينة استهزءوا منه،

(١) سورة نوح (١ - ٢٨).

Scanned by CamScanner

لأن في منطقة ليس فيها ماء أو بحر فكان يقول لهم : سوف تعلمون.

وعندما جاء الطوفان ليغرق كل كافر على أرض الله حمل نوح أولاده: حام ويافث وسام والمؤمنين وكانوا قلة والطيور والحيوانات ورفض ابنه يام أن يركب معه كما حكى لنا القرآن الكريم ذلك ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوحٌ ابنَهُ وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴿٤٢﴾ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المُغرقين﴾[1] وقالوا إن السفينة كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات، طبقة للدواب والحيوانات المفترسة، وطبقة للإنس والثالثة للطير.

ونجى الله نوحاً ومن معه وأغرق الكافرين به ومنهم زوجته وابنه وضرب الله عز وجه نوحًا ولوطًا مثلاً للذين كفروا وأنزل فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى﴿ضرب اللهُ مثلاً للذين كفروا امرأت نوحٍ وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يُغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾[2] ولم تكن خيانة زوجة نوح لزوجها في شرفه وإنما هى فى لغته في الإسلام والتمسك بدعوة الكفر والتحريض عليه ومساعدة قومها ضده إنها من أسوء النساء على مر التاريخ. وقد اختلف فى اسمها فذكر ابن جرير الطبرى فى تاريخه أنها عمذرة بنت براكيل وقيل أن اسمها واهلة والله أعلم.. المهم هو مضمون القصة فالأسماء لا تهم ولو كانت ذات أهمية لذكرها القرآن.

واستمرت مسيرة الحياة على الأرض بعد أن رست السفينة، وأصبح نوح مثل آدم الأب عليهما السلام.. أبو البشر الذين يأتون من بعده.. فكل الذريه التى على وجه الأرض اليوم من نسل نوح عليه السلام من أولاده سام

(١) سورة هود (٤٢ -٤٣).
(٢) سورة التحريم (١٠).

وحام ويافث قال ﷺ فيما رواه سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضي الله عنه : «**ولد نوح: سام وحام ويافث، فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم، وولد ليافث : يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم، وولد لحام القبط والبربر والسودان**»[1].

قيل أن السفينة سارت بنوح ومن معه مائة وخمسون يوماً واستقرت على الجودى شهراً وهبطوا منها فى يوم عاشوراء أى العاشر من المحرم ذكر ذلك قتادة وغيره.

قال ابن إسحاق فى الشهر الثامن من سنة اثنين فى ستة وعشرين ليلة منه ﴿قيل يا نُوحُ اهْبِطْ بسلامٍ منّا وبركاتٍ عليكَ وعلىٰ أُممٍ ممّن معك وأُممٌ سنُمتّعهُم ثُمّ يمسُّهُم منّا عذابٌ أليمٌ﴾[2] قال تعالى فى استمرار الذرية من عقب نوح وأولاده دون غيره ممن نجا فى السفينة ﴿ولقد نادانا نُوحٌ فلنعم المُجيبُون ﴿٧٥﴾ ونجّيناهُ وأهلهُ من الكربِ العظيم ﴿٧٦﴾ وجعلنا ذُريّتهُ هُمُ الباقين ﴿٧٧﴾ وتركنا عليه في الآخرين ﴿٧٨﴾ سلامٌ علىٰ نُوحٍ في العالمين﴾[3].

(١) رواه الحافظ أبو بكر البزارفى مسنده وابن كثير عنه فى القصص والمقصود بالقبط هنا أي أهل مصر لأن كلمة القبط تعنى المصرى القديم ولا دخل لها بالدنيا فالقبطى لا تعنى المسيحى وإنما هى كلمة أطلقها البعض خطأ لا أساس لها من الصحة وإنما كلمة القبطى أي المصرى سواء مسلم أو غير مسلم.
(٢) سورة هود (٤٨).
(٣) سورة الصافات (٧٥ - ٨٢).

Scanned by CamScanner

٥

الزوجتان المطيعتان لزوجهما سارة وهاجر زوجتى إبراهيم خليل الرحمن عليهم الصلاة والسلام

Scanned by CamScanner

سارة وهاجر

هما زوجتان لرجل واحد نبى الله ورسوله وأبو الأنبياء من بعده إبراهيم عليه السلام إذا تتبعنا نسله فهو إبراهيم ابن آزر بن ناصور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وباقى النسب من نوح عليه السلام إلى آدم عليه السلام ذكرناه من قبل فى قصة امرأة نوح.

وقد ذكرالطبرى وابن كثير وأهل النسب أن اسم أباه «تارخ». ولكن لقبه آزر وهو الذى ذكر به فى القرآن الكريم، وقيل أن سبب تسميته آزر أنه يصنع الأصنام لقومه ويبيعها لهم فسمى باسم أحد الأصنام وهو آزر.

ولد إبراهيم لأبيه آزر وكان آزر قد بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة وولد له أيضاً ناصور وهاران.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبراهيم ولد بفوطة دمشق فى قرية تسمى برزة، فى جبل اسمه قاسيون ثم قال أيضاً : والصحيح أنه ولد ببابل، وإنما نسب إلى هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معينًا للوط عليه السلام.

والصحيح المشهور أنه ولد ببابل بأرض العراق وحدث له ما حدث هناك مع طاغية الأرض النمرود.

وشب إبراهيم فوجد قومه يعبدون الأصنام من دون الله، فلا يوجد على الأرض من يعبد الله سوى إبراهيم عليه السلام الذى شب على عبادة الله بفطرة خالقه، دعا إبراهيم أباه إلى عبادة الله وناصحه، إلا أن الأب الذى كان رزقه من عبادة الأصنام رفض ذلك واستكبر وذكر القرآن الكريم المحاورة بين الأب والابن قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ

Scanned by CamScanner

إن الشيطان كان للرحمن عصيا ﴿٤٤﴾ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴿٤٥﴾ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً ﴿٤٦﴾ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا ﴿٤٧﴾ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا ﴿٤٨﴾ (١)

وقد استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه كما وعده، ولكن لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾ (٢).

وقال ﷺ: «لا يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يارب أنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم ماتحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فى النار» (٣).

وذكر الطبرى فى تاريخه أن أبو إبراهيم كان يصنع التماثيل ويعطيها أبناءه ليبيعها ومنهم إبراهيم عليه السلام فكان ينادى إبراهيم عليه السلام فيقول: من يشترى ما يضره ولا ينفعه. فيرجع أخوته وقد باعوا أصنامهم إلا إبراهيم يرجع بها كما هى وذلك قبل دعوته لأبيه.

وانتقل إبراهيم عليه السلام من دعوة أبيه إلى دعوة قومه، وحاورهم وجادلهم بالتى هى أحسن قال تعالى حكاية عما فعله إبراهيم عليه السلام مع قومه من دعوتهم إلى عبادة الله: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم ﴿٦٩﴾ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴿٧٠﴾ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴿٧١﴾ قال هل يسمعونكم إذ تدعون ﴿٧٢﴾ أو ينفعونكم أو يضرون ﴿٧٣﴾ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴿٧٤﴾

(١) سورة مريم (٤١ - ٤٨).
(٢) سورة التوبة (١١٤).
(٣) رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ.

قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ﴿٧٥﴾ أنتم وآباؤكم الأقدمون ﴿٧٦﴾ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴿٧٧﴾ الذي خلقني فهو يهدين ﴿٧٨﴾ والذي هو يطعمني ويسقين ﴿٧٩﴾ وإذا مرضت فهو يشفين ﴿٨٠﴾ والذي يميتني ثم يحيين ﴿٨١﴾ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴿٨٢﴾ رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين ﴿٨٣﴾ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴿٨٤﴾ واجعلني من ورثة جنة النعيم ﴿٨٥﴾ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ﴿٨٦﴾ ولا تخزني يوم يبعثون ﴿٨٧﴾ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴿٨٨﴾ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿٨٩﴾ (١) وحاور إبراهيم عليه السلام قومه وسألهم ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ قالوا: وجدنا أباءنا لها عابدين؟ قال: لقد كنتم أنتم وأباؤكم فى ضلال مبين. وقال لهم أيضاً: هل يسمعونكم إذا تدعون أو ينفعونكم أو يضرون؟ قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. فقال لهم: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين. قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟ قال: بل ربكم رب السماوات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين. وقال فى نفسه: تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.

عندما وصل الجدال إلى طريق مسدود أسر فى نفسه ذلك ويقال أن البعض سمع ذلك منه. وجاء يوم عيد لهم يخرجون فيه، لكن إبراهيم عليه السلام لم يخرج معهم وتعلل بأنه مريض. وذهب القوم إلى عيدهم خارج المدينة، وانطلق إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهه المعبد، ووجد الأصنام هنا وهنا وقد وضع القوم أمامهم الطعام والشراب والقرابين، فقال للأصنام على سبيل التهكم والسخرية: ألا تأكلون مالكم لا تنطقون.

وقام عليهم ضرباً بفأس كانت معه، فحطم الأصنام كلها إلا صنماً كبيراً تركه، ووضع الفأس على كتفه، حتى يظن قومه أنه هو الذى فعل ذلك بالأصنام الأخرى الصغيرة، أو سخرية من إبراهيم للأصنام ومحاولة في أقناع القوم أنها لا تنفع نفسها ولا تستطيع حماية نفسها.

(١) سورة الشعراء (٦٩ - ٨٩).

Scanned by CamScanner

وعاد القوم إلى المدينة ووجدوا الأصنام قد حطمت ونظروا إلى بعضهم البعض.. من فعل هذا بآلهتنا؟ قال البعض منهم : سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

تذكروا دعوة إبراهيم عليه السلام لهم بترك عبادة الأصنام والرجوع إلى عبادة الله الواحد الديان. وجاءوا بإبراهيم عليه السلام يحاكموه.

- قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟

قال : بل فعله كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون.

وكان الرد مفحماً لهم.. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾ أي فعادوا على أنفسهم بالملامة أي في تركها لاحافظ لها وحارس عندها، وأدركتهم الحيرة، وقالوا : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.. فكيف تسألهم؟ قال : تعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون.

ثم كان الحكم الذى أصدروه عليه بالحرق ﴿قالوا احرقوه أنصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾. وبنوا له بنياناً وجمعوا له الحطب وأطلقوا النيران واضطرمت والتهبت وعلا شررها عنان السماء.. ثم قيدوا إبراهيم وهو يقول : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك.

ووضع في كفه المنجنيق مقيداً مكتوفاً ثم ألقوه إلى النار وهو يرد :

حسبنا الله ونعم الوكيل

حسبنا الله ونعم الوكيل

حسبنا الله ونعم الوكيل[1]

(١) روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس ﷺ قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد حين قيل له ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

وقبل أن يصل إلى النار جاء جبريل عليه السلام فقال : يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال : أما إليك فلا.

قال ابن عباس ﷺ : جعل ملك المطر يقول : متى أومر فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع.

وصدر الأمر الآلهى ﴿قلنا يانار كونى برد وسلاما على إبراهيم﴾.

ولم ينتفع أهل الأرض يومئذ بنار فقد ظنت نار الدنيا أن الأمر صادر إليها، ولم تحرق منه سوى وثاقه.

وقال السدى : كان معه ملك الظل. وبعد أن طفئت النيران قيل بعد أربعين يوماً أو خمسين يوماً نظر الناس فإذا إبراهيم جالساً فى روضة خضراء وخرج إبراهيم سالماً بأمر ربه من النار. وجاءوا به الملك وهو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وحاوره إبراهيم عليه السلام وجادله فدار بينهما الحوار الذى سجله القرآن الكريم في سورة البقرة: ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1].

وبعد أن انتصر إبراهيم عليه السلام على أعدائه بفضل الله وحده، وأقام عليهم الحجة.. ترك بلادهم وهاجر بدينه فى سبيل الله، وقد آمن معه قليل من قومه، منهم ابن عمه لوط بن هاران وتزوج إبراهيم من سارة ابنة عمه.

قال تعالى ﴿فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم (٢٦) ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾[2].

(١) سورة البقرة (٢٥٨).

(٢) سورة العنكبوت (٢٦ - ٢٧).

Scanned by CamScanner

سـارة الزوجـة المطيعة

كانت سـارة نعم الزوجة لزوجـها فى دار الهجـرة، فقد هـاجر إبراهيم وزوجته إلى أرض الشام ثم قصد أرض مصـر، وكان بها فرعون ملك جبار، وأخبـر الملك أن رجلا يدعى إبراهيم قد دخل بلادك ومـعه امرأة ذات جـمال بارع، أرسل من يسأل من هذه المرأة؟ فقال إبراهيم : إنها أختى. فأمره الملك أن يرسلها إليه، فقال لهـا إبراهيم : لا تكذبى قولى بأنى أخبرته أنك أختى، أن ما على الأرض مؤمن غيرى وغيرك.

وتروى كتب السـيرة والأحاديث النبوية ما دار بين السـيدة الجليلة سارة والملك الجبار المصرى روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ قال: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتان منهن فى ذات الله، قـوله: إنى سقيم، وقوله: بل فعله كبيـرهم هذا. وقال: بينما هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبـار من الجبابرة، فـقيل له: إن هاهنا رجـلاً معه امـرأة من أحسن الناس، فأرسل إليـه وسأله عنها، فـقال: من هذه؟ قال: أخـتى. فأتى سارة فـقال: ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغـيرك، وأن هذا سألنى فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى.

فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولـها بيده فأخذ، فقال: ادعى الله لى ولا أضرك فدعت الله فـأطلق ثم تناولها الثانية مثلهـا أو أشد. فقال: ادعى الله لى ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حـجبته فقال: انكم لم تأتونى بإنسان، وإنما أتيتمونى بشيطان فأخدمها هاجر.

فأتته - أى إبراهيم - وهو قائم يصلى فأومـأ بيده. مهيم، فقالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر فى نحره وأخدم هاجر.

قال أبو هريرة : «فتلك أمكم يابنى ماء السماء» (١)

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد وأبو داود.

وقد روى البـخارى عن أبى اليمـان عن شعيب بن أبى حـمزة عن أبى الزناد عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ به مـختصـراً، وقال ابـن كثيـر فى القصص : ورأيت فى بعض الآثار أن الله عز وجل كشف الحـجاب فيما بين إبراهيم عليـه السلام وبـينها فلم يرها منـذ خرجت من عنده إلى أن رجـعت إليه. وكان مشاهداً لها وهى عند الملـك وكيف عصمها الله منه، ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعـينه وأشد لطمأنينته فإنه كـان يحبها حبًـا شديداً. لدينها وقرابتها منه، وحسنها الباهر فـإنه قيل أنه لم تكن إمرأة بعد حواء إلى زمانها أحسن منها ﷺ. وهكذا نجى الله المـرأة المطيعة لزوجها وربهـا من كيد الملك الفاجر، وأرجعها سالمة مع جارية لتخدمها هى السيدة هاجر.

وخرج إبراهيم وزوجـته وجاريتـها هاجر من مـصر الى الشام، ومـعه أموال كثـيرة وأنعام وعبيـد من مصر، وتلقاه ملوك بيت المقـدس معظمين له مكرمين واستقر بها مؤيداً منصوراً بفضل الله عز وجل.

هاجـر وزواجهـا من إبراهيم عليه السلام

لقد كانت السـيدة سارة عاقراً لا تلد، ونظراً لحب إبـراهيم عليه السلام لها لم يتزوج عليها، ولكنه يرغب فى الذرية، ولأن سارة تحبه أيضاً حبًا ليس أنانيًا فقد وهبت له جاريتها «هاجر المصرية» كى يتزوجها ربما يرزق منها الذرية التى يرغبها.

ودخل إبراهيم على هاجر وحملت منه، وأنجبت له إسـماعيل وكان قد بلغ من العـمر حـوالى ست وثمانين سنة، وأخذ إبراهيم عليـه السلام هـاجر وإبنها الرضيع إلى أرض فاران وهى مكة المكرمة.

هاجـر الزوجـة المطيعـة لزوجـها

جاء إبراهيم بزوجته هاجر وابنهما إسـماعيل وهو رضيع ووضعهما عند

Scanned by CamScanner

البيت الحرام بمكة فى أرض غير ذات زرع ومعهما سقاة فيها بعض الماء، ثم مضى حيث جاء، فتبعته الزوجة الوفية المطيعة.

فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها.

فقالت له : آلله أمرك بهذا؟

قال : نعم.

قالت : إذن لا يضيعنا. ثم رجعت.

واستقبل إبراهيم بوجهه البيت الحرام ورفع يديه ودعا ربه قائلاً:

﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (١).

ومضى إبراهيم عليه السلام عائداً إلى بلاده حيث زوجته الأولى سارة، وقد ترك ابنه الرضيع وزوجته حيث أمره الله بذلك، وظلت المطيعة لزوجها وربها مع ابنها الرضيع وحيدين فى تلك المنطقة الموحشة.. ياله من موقف وياله من إيمان عظيم.. نعم المرأة أنت أيتها السيدة الفاضلة المؤمنة..

وتمر الأيام قليلة وينفذ الماء من السقاية وعطشت وعطش الطفل، وهى حائرة ماذا تفعل؟! وتتعالى صراخات الطفل ويعلو بكاؤه، وجرت نحو جبل الصفا وصعدت تنظر لعلها ترى شيئاً، ونزلت وسعت حتى وصلت إلى جبل المروة ونظرت فلم ترى أحداً وفعلت ذلك سبعاً، فكان سعيها من المناسك المؤداة فى الحج والعمرة. وهو السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط.. وفى الشوط السابع على المروة سمعت صوت ماء يفور، فنظرت فإذا بملك كريم عند الطفل وقد تفجر بئر ماء عذب.. هو زمزم.. فأسرعت إليه وجعلت تحوضه بيدها. وهكذا كان الله معها ولم يضيعها وهكذا يكون الظن بالله سبحانه وتعالى. وشربت هاجر وأرضعت وليدها وقال لها الملك: لا تخافى الضيعة فإن هاهنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه. وإن الله لا يضيع أهله.

(١) سورة إبراهيم (٣٧).

وكان البيت الحرام مرتفعاً مثل الربوة بقية ما بناه آدم وابنه شيث، وقد تأثر بطوفان نوح عليه السلام، ومرت بهما رفقة من قبيلة جرهم، واستأذنوا أم إسماعيل أن ينزلوا بجوارها، فوافقت وقالت لهم : نعم ولكن لاحق لكم فى الماء عندنا. ووافقوا على شرطها. وجاء أهل جرهم واستوطنوا مكة، وشب الطفل إسماعيل عليه السلام بينهم وتعلم العربية وتزوج منهم.

الاختبار الثانى لهاجر

بعد الامتحان الأول لها بأن تركها إبراهيم عليه السلام وابنها فى واد غير ذى زرع عند البيت الحرام، وحفر الملك الكريم لبئر زمزم، وبعد أن كبر الغلام وأصبح شاباً يسعى وبلغ من العمر ستة عشر عاماً. رأى إبراهيم عليه السلام رؤيا فى منامه أنه يذبح ابنه.. ورؤيا الأنبياء وحى ليست كرؤيا غيرهم من البشر.

قال تعالى: ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴿٩٩﴾ رب هب لي من الصالحين ﴿١٠٠﴾ فبشرناه بغلام حليم ﴿١٠١﴾ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴿١٠٢﴾ فلما أسلما وتله للجبين ﴿١٠٣﴾ وناديناه أن يا إبراهيم ﴿١٠٤﴾ قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴿١٠٥﴾ إن هذا لهو البلاء المبين ﴿١٠٦﴾ وفديناه بذبح عظيم ﴿١٠٧﴾ وتركنا عليه في الآخرين ﴿١٠٨﴾ سلام على إبراهيم ﴿١٠٩﴾ كذلك نجزي المحسنين ﴿١١٠﴾ إنه من عبادنا المؤمنين ﴿١١١﴾ وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ﴿١١٢﴾ وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ (١).

وسارع إبراهيم إلى طاعة أمر ربه، وعرض الأمر على ابنه المؤمن الصادق المصدق لأمر ربه الذى شجع أباه على تنفيذ الرؤيا كما ذكرت الآيات القرآنية: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ ولكن ما هو موقف الأم المؤمنة المطيعة هاجر؟

(١) سورة الصافات (٩٩ -١١٣).

Scanned by CamScanner

لم يكن موقفها بأقل من موقف زوجها وابنها من الإيمان والتصديق والصبر، فقد جاء إبليس اللعين يحرضها على التدخل لمنع إبراهيم عليه السلام من ذبح ولده ولكنها رجمته بالحجارة كما فعل كل من إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام معه، وهذا من مناسك الحج.. رجمة إبليس الأصغر والأوسط والكبير بسبع جمرات، جعلها الله من مناسك الحج تكريما وإحياءً لذكرى تلك المواقف العظيمة الإيمان لتلك الأسرة المؤمنة الصابرة.

ويأتي الفداء بكبش عظيم يأتي به ملك عظيم من الجنة منادياً إبراهيم عليه السلام.. يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. ويكون هذا الفداء لهذا الذبيح أيضاً من مناسك الحج ويوم هذا اليوم عيداً لنا - هو عيد الأضحى.. ويكون هذا اليوم هو يوم النحر في الحج الأكبر. وﷺ أجمعين.

وعاشت هاجر بعد ذلك تقوم على رعاية ابنها وتربيته وإبراهيم عليه السلام يزورها من الحين إلى الآخر، حتى توفيت رضي الله عنها ولبت نداء ربها راضية مرضية.

وماتت سارة أيضاً في حياة زوجها بالشام ودفنت بمزرعة اشتراها إبراهيم عليه السلام بقرية الجابرة بأرض كنعان في حبرون كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه.

زوجات إبراهيم عليه السلام بعد وفاة سارة

لما ماتت سارة بنت هاران، وقد ماتت قبلها هاجر على الأرجح، تزوج إبراهيم عليه السلام من امرأة من الكنعانيين تسمى قطوراً بنت يقطن، وأنجبت له ستة من الأولاد هم: يقسان، زمران، ومديان، ويسبق، وسوح، ويسر.

وكان إبراهيم عليه السلام قد رزق من سارة بابنه إسحاق ومن قبل إسحاق قد رزق بإسماعيل ابنه الأكبر من هاجر عليهم السلام.

وانتشرت ذرية إبراهيم عليه السلام في الأرض، فأما يقسان فعاش بنوه في مكة، وأقام مدين بأرض مدين وسميت به. ومضى سائر الأولاد في البلاد. وجعلت النبوة في ذريته إلى خاتمهم ﷺ.

وقالوا أن إبراهيم تزوج بأمرة أخرى من العرب أيضاً تسمى حجور بنت أرهير وولدت له خمسة بنين هم: كيسان، وشورخ وأميم ولوطان، ونافس[1].

ولذلك يصير أولاد إبراهيم من زوجاته الاربع ثلاث عشر ولداً والله أعلم.

وتوفي إبراهيم عليه السلام وقد بلغ من العمر مائتين سنة وقيل مائة وخمس وسبعين سنة ودفن عند قبر زوجته سارة في مزرعة حبرون. بعد حياة حافلة بالابتلاء والاختبار والصبر والإيمان ﷺ وسائر الأنبياء والرسل.

(١) تاريخ الطبري.

Scanned by CamScanner

٦

زوجتى نبى الله إسماعيل عليه السلام

- الزوجة الشاكية
- الزوجة الشاكرة المؤمنة

Scanned by CamScanner

الزوجة الأولى الشاكية

بعد أن ترك إبراهيم عليه السلام ابنه الرضيع إسماعيل وأمه هاجر في مكة المكرمة عند البيت الحرام، وبعد إكرام الأم الصابرة المطيعة ببئر زمزم، ثم نزوح قبيلة جرهم إلى مجاورتها، وأصبحت تلك الأرض التي كانت غير آهلة بالحياة تدب فيها الحياة وقد انفجر فى أرضها الجدباء ماء عذب يجرى إلى يوم القيامة ماء هو طعمة طاعم وشفاء سقيم، ماء هو لما شرب له كما قال ﷺ، بعد أن استقر العيش بأم الطفل الرضيع وقد شب الطفل وتعلم اللغة العربية من جرهم، فلما بلغ مبلغ الرجال زوجوه بامرأة منهم هي عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي.

وماتت أمه هاجر رضي الله عنها، وجاء إبراهيم عليه السلام لزيارة ابنه إسماعيل عليه السلام فلم يجده، ووجد زوجته بالبيت وسألها :

- كيف حالكم؟

قالت الزوجة الشاكية :

- نحن بشر، نحن فى ضيق وشدة. وشكت الزوجة للأب ما هم فيه من ضيق العيش وذات اليد. فلم تحمد الله ربها على كل حال كما هو حال المؤمن دائما.

فقال لها الأب :

- فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه.

وجاء الابن البار المطيع وقد أنسى شيئاً فقال :

- هل جاءكم من أحد؟

قالت الشاكية :

- نعم جاءنا شيخ كبير - ووصفته له - فسألنا عنك فأخبرته. وسألنى كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا فى شدة.

Scanned by CamScanner

قال الزوج:

- هل أوصاك بشيء.

قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك.

قال : ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك. وطلقها وتزوج منهم بأخرى[1].

وكانت الزوجة الثانية لإسماعيل عليه السلام من جرهم أيضاً يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، وكانت زوجة شاكرة حامدة لله على كل الأحوال وهذا ما نجده واضح في لقائها للأب إبراهيم عليه السلام، فحين حضر لزيارة ابنه فلم يجده وسألها عنه قالت :

- خرج يبتغي لنا.

قال إبراهيم : كيف أنتم؟

قالت الزوجة الشاكرة:

- نحن بخير وسعة، ونحمد الله عز وجل على ما نحن فيه من خير ونعمة.

فقال الأب :

- وما طعامكم.

قالت الشاكرة :

- اللحم.

قال الأب :

- فما شرابكم

قالت : الماء.

(١) ابن كثير قصص الأنبياء بتصرف.

فقال لها : اللهم بارك لهم في اللحم والماء. فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه.

وجاء الزوج إسماعيل عليه السلام وقال لزوجته : هل أتاكم من أحد؟

قالت الزوجة : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة -وأثنت عليه- فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته : أنا بخير..

قال الزوج : فأوصاك بشيء؟

قالت نعم : هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك.

قال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك[1].

وقال ابن إسحاق ولد لإسماعيل من إبراهيم اثنا عشر رجلاً وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو والجرهمي وهم :

غابت بن إسماعيل، وقيدر بن إسماعيل، وأدبيل بن إسماعيل، وميشا بن إسماعيل، وسمع بن إسماعيل، دما بن إسماعيل، وماس بن إسماعيل، وأدد بن إسماعيل، وطور بن إسماعيل، ونفيس بن إسماعيل، وطما بن إسماعيل، وقيدمان بن إسماعيل. وجاءت العرب من نابت بن إسماعيل، وقيدر بن إسماعيل[2]. ومات إسماعيل بن إبراهيم فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة وقد نبأه الله عز وجل وأرسله إلى العماليق وقبائل اليمن. وقال ابن إسحاق إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته من العيص بن إسحاق وعاش مائة وسبعاً وثلاثين سنة ودفن عند قبر أمه في الحجر[3] بمكة المكرمة.

(١) المصدر السابق بتصرف.
(٢) الطبري في تاريخه.
(٣) تاريخ الأمم والملوك.

Scanned by CamScanner

٧

زوجات إسحاق وأولاده يعقوب والعيص وأولادهم

Scanned by CamScanner

زواج إسحاق بن إبراهيم

منح الله إبراهيم عليه السلام وزوجته المطيعة الصابرة سارة بنت هاران بابن وصفه في قرآنه بالحلم هو إسحاق، وبعد ذلك بعد أن أنجب ابنه الأكبر إسماعيل من زوجته الثانية هاجر عليها السلام وكان ذلك بعد الرؤيا التى رآها فى المنام أنه يذبح إسماعيل وليس كما يزعم البعض من المفسرين وغيرهم من أهل الكتاب أن الذبيح هو إسحاق، قال تعالى في سورة الصافات: ﴿وقال إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين ﴿٩٩﴾ ربِّ هب لي من الصالحين ﴿١٠٠﴾ فبشرناه بغلام حليم ﴿١٠١﴾ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴿١٠٢﴾ فلما أسلما وتله للجبين ﴿١٠٣﴾ وناديناه أن يا إبراهيم ﴿١٠٤﴾ قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴿١٠٥﴾ إن هذا لهو البلاء المبين ﴿١٠٦﴾ وفديناه بذبح عظيم ﴿١٠٧﴾ وتركنا عليه في الآخرين ﴿١٠٨﴾ سلامٌ على إبراهيم ﴿١٠٩﴾ كذلك نجزي المحسنين ﴿١١٠﴾ إنه من عبادنا المؤمنين ﴿١١١﴾ وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين ﴿١١٢﴾ وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسنٌ وظالمٌ لنفسه مبينٌ﴾[1].

فبعد أن قال سبحانه وتعالى: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ وقال تعالى: ﴿وتركنا عليه في الآخرين ﴿١٠٨﴾ سلامٌ على إبراهيم ﴿١٠٩﴾ كذلك نجزي المحسنين ﴿١١٠﴾ إنه من عبادنا المؤمنين ﴿١١١﴾ وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين﴾ فجاء ذكر التبشير بإسحاق بعد ذكره قصة الذبح والفداء وهذا ما شرحه وانتصر له ابن كثير في التفسير والقصص.

ولما كبر إسحاق زوجه إبراهيم عليه السلام من زوجة صالحة هى رفقا بنت تبويل بن إلياس، وأنجبت له ولدين قيل أنهما كانا في بطن واحدة تؤام هى: يعقوب والعيص[2].

---

(١) سورة الصافات (٩٩ - ١١٣).

(٢) تاريخ الطبرى.

Scanned by CamScanner

وعاش إسحاق في حياة أبيه وولديه يعقوب والعيص، وتزوج يعقوب ابن إسحاق ولقيه إسرائيل من ابنة خاله ليا بنت لبان بن تبويل بن إلياس وولدت له روبيل ويسخر وشمعون ولاوى ويهوذا وزبالون وابنته دنيه، ثم تزوج بعد وفاة زوجته ليا بأختها راصيل بنت لبان وأنجبت له يوسف وبنيامين، وأنجب يعقوب من جارتين له اسمهما زلفة والأخرى بلهة أربعة هم : دانى و ونفتالي، وجاد، وأشر.. وهم اثنى عشر رجلاً[1].

وذكر أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام تزوج بالأختين وجمع بينهما وكان ذلك حلالاً في وقته إلى نسخ فى عهد موسى عليه السلام.

وأما الابن الآخر لإسحاق وهو العيص وجاء من نسله الروم بنى الأصفر وكان قد تزوج من ابنة عمه نسمة بنت إسماعيل بن إبراهيم وأنجبت له الروم بن العيص.

وهكذا فإن أهل الغرب وبنى إسرائيل وبنى العرب أبناء عمومه. والله أعلم.

(١) المصدر السابق.

٨

امرأة لوط عليه السلام

المرأة التى خانت زوجها نبى الله بكفرها برسالته ودعوته إلى الله وإعانتها قومها الفاجرين

Scanned by CamScanner

قـوم لـوط عليه السـلام

إنهم أشر قـوم على مر التاريخ البـشرى أهل المؤتفكات وكـانوا خمس قرى: صبغة وصعرة وعمرة وروما وسدوم وهي القرية الكبيرة.

ويطلق عليها سدوم وسميت قرية قوم لوط.

فماذا من أمر القرية وأمر نبى الله لوط عليه السلام؟

لقد آمن لوط عليـه السلام وهو ابن أخ إبراهيم عليه السـلام، وقد آمن لوطاً بعمه إبراهيم عليه السلام فـهو لوط بن هاران بن آزر وقد هاجر مع عمه إبراهيم إلى الشام بعد خروجه من بابل ونزل لوط بالأردن، ونبأه الله وأرسله إلى قوم سدوم وكانوا أهل كفر وفاحـشة. فكانوا يستغنون بالرجال عن النساء ويأتون المنكر في ناديهم قـال تعالي على لسان لوط عليـه السلام: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾(١).

وقال أهل الـعلم: إنهم كانوا يقطعـون على المسافـر طريقه، ويفـعلون المنكر في ناديهم أى المكان الذى يجـتمعون ويتـسامرون فيـه، وقالوا عن هذا المنكر هو إيذاء المار بالطـريق أى الحديث بالسـوء عن الآخـرين وكذلك كـان يفعلون الفاحشة من إتيان الذكران علانية أي يجامع بعضهم بعضاً.

ياله من سوء وفاحشة، ورغم ما فـعلوه فقد أرسل إليهم الله جل وعلا رسولاً كريماً هو لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله والتوبة عن فعل تلك المنكرات وأظهر لهم سوء فـعلتهم التى يفعلونها ولم يفعلهـا غيرهم من الأمم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾(٢) ولكن القوم

---

(١) سورة العنكبوت (٢٨ - ٢٩).

(٢) سورة الأعراف (٨١).

Scanned by CamScanner

استهزءوا به وكذبوه تطاولوا عليه حتى قالوا له: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾(١). هكذا حال الدعاة إلى الله وما يلاقونه فى سبيل الدعوة ولكن لوطاً مثل غيره من الرسل الكرام صبر واحتسب واستمر فى الدعوة إلى الله ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(٢). وهكذا استمر لوط يدعو قومهم وينصحهم حتى أتى أمر الله فيهم.

زوجة لوط وخيانتها

لم تكن خيانة زوجة لوط لزوجها أمراً كالذى نعرفه من خيانة الزوجة لزوجها، وإنما كانت خيانتها هى عدم طاعتها لزوجها النبى الصالح، وكفرها بما جاء به، بل إنها وافقت قومها، وكانت تخبرهم بما يفعل لوط من إكرامه للضيوف الذين يضيفهم لوط عليه السلام كما هو العهد بعمه إبراهيم عليه السلام، الذى لقب بأبو الضيفان فكان لا يأكل إلا مع ضيف يستضيفه فى بيته، هكذا كان لوط أيضاً.

وكانت تلك المرأة العاصية لربها ولزوجها والتى ضرب الله بها مثلاً للذين كفروا هى وامرأة نوح عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(٣).

فكانت تلك الزوجة مثل زوجة نوح عليه السلام من العصيان وعدم اتباع أمر زوجها رسول ربها ونبيه.

(١) سورة الأعراف (٨٢).
(٢) سورة الشعراء (١٦٠ - ١٦٦).
(٣) سورة التحريم (١٠).

وعندما أرسل الله سبحانه وتعالى ملائكته لهلاك قوم لوط عليه السلام، وقد قيل أن الله أخبرهم أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط. . وجاءت الرسل لوطاً - وكانوا جبريل وميكائيل وإسرافيل - فى هيئة شباب حسن المنظر، وكان لوط فى أرضه يعمل بها فأتوه فقالوا: إنا مضيفوك الليلة.

فانطلق بهم وقال لهم: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناساً أخبث منهم، فمضى معهم ثم قال الثانية أى مثل قوله الأول من شهادته على قومه، ورأتهم زوجته وأخبرها لوط عليه السلام ألا تخبر قومها. . ولكنها لم تستمع له وخانته بأن أخبرت قومها بأمر الضيوف ذو الهيئة الحسنة الجميلة، فجاءوا إلى لوط يطلبون منه أن يخرج لهم ضيوفه كى يفعلون بهم الفاحشة.

وقيل أن الذى استقبل الرسل أول الأمر هى ابنة لوط وكان له ابنتان هما ريثا والأخرى رعزيا. . والله أعلم.

المهم أن القوم. . قوم السوء قد تجمعوا عند لوط بعد أن أخبرتهم زوجته ودلت على أمر ضيوف زوجها وقالوا: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ

Scanned by CamScanner

﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴿٧٤﴾ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴿٧٥﴾ وإنها لبسبيل مقيم ﴿٧٦﴾ إن في ذلك لآية للمؤمنين ﴾[1]. وقوله ﴿ هؤلاء بناتي ﴾ أي نساء قومهم زوجاتهم كما قال ذلك المفسرون ومنهم ابن كثير والله أعلم.

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ﴾[2] يرشدهم إلى عشيان نسائهم وهي بناته شرعاً، لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد، كما ورد في الحديث كما قال تعالى: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾. وفي قول الصحابة والسلف : وهو أب لهم.

وضاق لوط عليه السلام ذرعاً بقومه وما يطلبون منه، وهو لا يستطيع حماية أضيافه. فيقول: ﴿ قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾[3].

وجاءت الإجابة من الملائكة الكرام مطمئنة له : إن ركنك لشديد. قال تعالى ﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾[4].

وعلم لوط أنهم رسل الله وملائكته وأنه حق على قومه العذاب والهلاك، وحين دخل قومه على الأضياف الذين هم ملائكة الله طمست الملائكة على أعينهم فصاروا عمياناً. فخرجوا من داره يصرخون لمن بالخارج: سحرنا لقد جاءنا لوط بسحره.

(١) سورة الحجر (٥١ - ٧٧).
(٢) سورة هود (٧٨)
(٣) سورة هود (٨)
(٤) سورة هود (٨١)

ودعا لوط ربه: ﴿ رب نجني وأهلي مما يعملون ﴾[1]. وخرج لوط عليه السلام بابنتيه وزوجته العاصية وقد أظلم الليل وأرخى سدوله على القرية الظالمة، قال تعالى: ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴿٨٢﴾ مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ﴾[2]. واقتلع جبريل عليه السلام بطرف جناحه الأرض من قرارها وكانوا سبع قرى بما فيها وما عليها ورفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات الديكة ونباح الكلاب. ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها. قال مجاهد : فكان أول من سقط منها أشرافها[3].

وقيل أن امرأة لوط مكثت مع قومها وقيل وهو الأرجح أنها خرجت معهم وفي الطريق خارج القرية حين وقع على قومها العذاب وسمعت صوت سقوط القرية فصرخت على قومها والتفتت إليهم فأصابها حجر من الحجارة المسومة فدمغها ولحقت بقومها، فقد كانت على دينهم وعيناً لهم فبئس العاقبة والمصير والحمد لله رب العالمين.

وهكذا خرج لوط سالماً من القرية الظالم أهلها ولم يؤمن له إلا اثنين فقط لله الأمر من قبل ومن بعد لا إله إلا هو سبحانه وتعالى.

(١) سورة الشعراء (١٦٩).
(٢) سورة هود (٨٢ - ٨٣).
(٣) ابن كثير التفسير والقصص.

Scanned by CamScanner

٩

زوجة يوسف عليه السلام المرأة التائبة لله

من هى تلك المرأة التى تزوجها نبى الله يوسف ابن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام

Scanned by CamScanner

إمـرأة يـوسـف

وقبل الحديث عن زوجـة يوسف عليه السلام نتحـدث قليلاً عن الزوج يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليه السلام.

فهو مـن أولاد يعقوب -إسرائيل- عليـه السلام فقد ذكـرنا من قبل أن يعقوب عليـه السلام تزوج من أختين لخاله ليا وراحـيل ابنتا لبان، ووهبت له كل زوجة جارية منهـا فأنجب منهن جميعاً أولاده الاثنى عـشر، وكان يوسف عليه السلام وأخيه بنيامين من أم واحدة هى راحيل.

وتآمـر عليـه أخـوته لما رأوا من حب أبيـه له، وقـد رأى يوسف رؤيا حكاها إلى أبيـه وقد ذكرها القـرآن الكريم فى أول سورة يوسف قـال تعالى ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1].

وأمره أبوه بكتمان الرؤيا خوفاً عليه أن يحسده أخوته وأن ينزغ الشيطان بينهم.

ولكن أخوة يـوسف قد أجمـعوا على أن يلقـوه في غيابـة الجب حتى

(١) سورة يوسف (١ - ١٠).

Scanned by CamScanner

يأخذه البعض ويرحل بعيداً عنهم، ويخلو لهم أبيهم كما يريدون، وقد تم ما أرادوا وأخذوا يوسف وألقوه في الجب، وأخذته بعض القوافل التى كانت تسير بتجارتها إلى مصر وباعته إلى عزيز مصر ووزيرها الذى أعطاه إلى إمرأته.

وكان الوزير مديحى قطفير بن راحيب وكان ملك مصر يسمى الريان بن الوليد[1]. وامرأة العزيز تسمى راعيل بنت رمابيل ولقبها زليخا.

وعاش يوسف فى بيت العزيز مكرماً منعماً، حتى بلغ الشباب قيل ثمانية عشر عاماً وقيل ثلاثون وقيل أربعون والله أعلم.

يوسف وإمرأة العزيز

كانت امرأة العزيز في غاية الجمال والحسن، وكذلك كان يوسف عليه السلام قد أوتى جمالاً وبهاءً، وأحبته امرأة العزيز حباً شديداً ملك عليها نفسها حتى إنها راودته عن نفسه، وغلقت أبواب القصر وقد لبست له أحسن الثياب وتزينت، فقد كانت زوجة العزيز المطاع فى البلاد وبنت أخت الملك.

ولكن يوسف النبى ابن النبى إبن النبى أبى ورفض وأبى بشدة ودفعها وتوجه إلى الباب هارباً منها، ولقى سيدها وزوجها عند الباب، وهنا ادعت عليه زوراً وبهتاناً أنه حاول التعدى عليها، ولكن الله أظهر براءته من ادعائها الكاذب بشهادة شاهد من أهلها، فقد كان قميصه قد مزق من الخلف وهذا دليل على أنها كانت هى الطالبة له والراغبة وهى التى حاولت النيل منه قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ

(١) قاله إبن إسحاق ونقله عن إبن كثير والطبرى.

سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[1].

وذاع خبر الواقعة وحب امرأة العزيز ليوسف فى المدينة وتحدثت به النسوة، وعلمت زوجة العزيز بذلك فجمعت النسوة اللاتى تكلمن وأحضرت لكل واحدة سكيناً وأمرت يوسف عليه السلام أن يخرج اليهم، فخرج إليهن وحين رأينه أكبرنه وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين دون أن يشعرن بألم، وقالن: حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم، ثم جاء التهديد الصريح من امرأة العزيز ليوسف عليه السلام.. إنه إما أن يستجيب لها أو تزج به فى السجن، وياله من تهديد، ولكن يوسف لم يأبه بهذا التهديد وأعلن أن السجن أحب إليه مما يدعونه إليه من الفاحشة.. قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

لقد بررت زوجة العزيز فعلتها أمام النسوة من كبائر القصر، بل لقد أيدوها فيما طلبت، وطلبن هن كذلك مثل طلبها.. ياله من فجور النسوة وكيدهن العظيم.

(١) سورة يوسف (٢٣ - ٢٩).
(٢) سورة يوسف (٣٠ - ٣٤).

Scanned by CamScanner

ولكن الله القوى العزيز صرف عنه كيدهن، وبعد فترة قصيرة لم يكن أمام تلك الزوجة التى استحكمت عليها شهوتها إلا أن تدخل يوسف عليه السلام السجن عقاباً له على رفض أوامرها. وكان هذا رأى العزيز وامرأته حتى يظهر أمام الناس أن يوسف هو الذى حاول أن يعتدى على سيدته امرأة العزيز، وهكذا يكون ظلم الحكام.

ويظل يوسف فى سجنه سنوات وكان معه فى السجن اثنين من خدام الملك أحدهما كان الساقى والآخر كان خباز الملك، وقد اتهموا فى جناية محاولة قتل الملك بالسم. ورأى كل واحد منهما رؤيا وطلبا من يوسف عليه السلام التفسير لما رأياه فيه من الصلاح والتقوى، وكان تفسيره لرؤياهما أن أحدهما سوف يقتل وتقطع رأسه وهو الخباز، والآخر سوف يخرج من السجن ويعود لعمله كساقى الملك، وطلب من الأخير أن يذكر قصته عند مولاه الملك.

ولكن الذى خرج ونجا من السجن نسى أن يذكر يوسف عليه السلام للملك. وتذكر بعد سنوات حين رأى الملك رؤيا أفزعته ولم يستطع حكماؤه وعلماؤه من تأويلها، قال تعالى ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رءياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴿٤٣﴾ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴿٤٤﴾ وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ﴿٤٥﴾ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴿٤٦﴾ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ﴿٤٧﴾ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ﴿٤٨﴾ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ (١).

وعندما جاء الساقى لتفسير حلم الملك كما ذكر القرآن الكريم فسر له يوسف الرؤيا تفسيراً دقيقاً سليماً أعجب الملك، ولما أحاط الملك علماً بكمال

(١) سورة يوسف (٤٣ - ٤٩).

يوسف عليه السلام ورأى أن رأيه وفهمه سليم، طلب إحضاره، ولكن يوسف عليه السلام طلب من الملك قبل أن يقابله ويخرج من السجن أن يحقق بنفسه فيما حدث له من قصته مع امرأة العزيز والنسوة.

وبعد التحقيق واعتراف امرأة العزيز وكذلك النسوة ببراءة يوسف عليه السلام ولما ظهر للملك براءته ونزاهته، جعله من خاصته وأكابر دولته، وطلب منه يوسف أن يكون على خزائن مصر وأجابه الملك لذلك فأصبح يوسف عليه السلام وزير الملك.

زواجه بعد تولية الوزارة

وقال ابن كثير وابن جرير الطبرى فى تواريخهم: إن العزيز قطفير زوج زليخا قد مات، فزوجه الملك منها، فهى ابنة أخته، وأن يوسف عليه السلام وجدها عذراء لأن زوجها كان لا يأتى النساء.

وعاشت معه وقد امنت بربها وتابت من قبل عما صنعت معه، وأنجبت له : افرايم، منسا.

وذكر ابن إسحاق أن ملك مصر الريان بن الوليد أسلم على يدى يوسف عليه السلام والله أعلم.

وقيل أن عمر يوسف عليه السلام حين تزوج وخرج من السجن إلى الوزارة ثلاثون عاماً.

ثم جاء العام الذى يغاث فيه الناس كما فسر يوسف عليه السلام رؤيا الملك، ولكن خزائن الملك بفضل حكمة يوسف عليه السلام كانت مملؤة بالخير الوفير، وجاءه الناس من كل مكان يطلبون الطعام، وهو يعطيهم بمقدار كى تمر الأزمة الاقتصادية بسلام، وممن جاءوه أخوته، دخلوا عليه وهم لا يعرفونه وهو يعرفهم، فلم يخطر لهم ببال أن يكون أخوهم الذى باعوه عبداً يكون هو الوزير المتحكم فى خزائن مصر. قال تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف

Scanned by CamScanner

فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴿٥٨﴾ ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ﴿٥٩﴾ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ﴿٦٠﴾ قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون ﴿٦١﴾ وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون ﴿٦٢﴾ (١).

ويحكى القرآن الكريم وكتب التاريخ أن يوسف استطاع أن يكيد لأخوته حتى أحضروا له أخاه بنيامين، وهم لا يعرفونه، وعندها اشتد الأمر على أبيه يعقوب عليه السلام وكف بصره لحزنه على فراق ابنه يوسف وبنيامين، كشف يوسف لإخوته عن نفسه وأرسل قميصه إلى أبيه مع البشير كى يلقيه على وجهه ويعود إليه بصره، ويدخل عليه أبواه وأخوته بمصر فى ملكه وتتحقق الرؤيا التى رآها من قبل وهى أن اثنى عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له، فكان الأحد عشر كوكباً هم إخوته والشمس والقمر أبيه وأمه، وعاشوا جميعاً في رحاب أرض مصر حتى مات يعقوب فيها ونقل جثمانه ليدفن بالشام مع أبيه إسحاق بناءاً على وصيته.

ومات يوسف بمصر وقد بلغ من العمر مائة وعشر سنين وأوصى أن يحمل مع بنى إسرائيل إذا خرجوا من مصر فيدفن عند آبائه فحنط ووضع في تابوت، وظل بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدفنه عند آبائه بالمغارة فى بلاد الشام وصلى اللهم وسلم على أنبيائه ورسله أجمعين.

(١) سورة يوسف (٥٨ - ٦٢).

١٠

زوجة نبى الله أيوب عليه السلام

رحمة بنت أفرائيم ابن يوسف بن يعقوب عليهم السلام

الزوجة الوفية

Scanned by CamScanner

الزوجين الصابرين

الزوج هو أيوب عليه السلام قال ابن إسحاق : كان رجلاً من الروم من سلالة العيص بن إسحاق، فقيل أيوب بن موحى بن رازخ ابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وهذا هو المشهور فى نسبه.

وزوجته هى رحمة بنت إفرائيم وقيل ليا بنت منسا بن يعقوب.

فالزوج والزوجة من سلالة طيبة وهى سلالة الأنبياء. فكان الزوج نبياً وكان كما ذكر علماء التفسير والتاريخ أنه رجلاً كثير المال، يملك الأنعام والعبيد والمواشى والأراضى حتى قيل أن أرض الثنيه من أرض حوران كانت ملكاً له. وأنجب أولادًا كثيرين. وعاش فى هذه النعمة سبعون سنة. ثم ابتلاه الله بالمرض الشديد وسلبت منه نعمة الله عليه ابتلاءاً من الله له واختباراً، وفقد كل بنيه وأهله إلا زوجته.

ودب المرض فى جسده حتى لم يبق منه عضواً سليماً إلا قلبه ولسانه، ومع ذلك ظل صابراً محتسباً، يذكر الله وطال مرضه حتى تركه الناس، وخرج من بلده وألقى فى مزبلة خارجها، وانقطع عنه الناس ولم يبق معه سوى زوجته الصابرة الوفية، ترعى حقه وتوفى إحسانه وتخدمه، حتى انقطع عنها المال فكانت تخدم الناس بالأجر وتأتى إليه بالطعام وهكذا ظل البلاء والابتلاء لهذا النبى الكريم وزوجته ما يقرب من ثمانية عشر عاماً حتى ضرب به المثل فى الصبر.

ولم يزد هذا البلاء أيوباً إلا صبراً وحمداً وشكراً لله. وهكذا الأنبياء والصالحون أشد الناس ابتلاء على قدر دينهم. قال ﷺ : **«أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل»**.

وقال أيضاً : **«يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صلابة زيد**

Scanned by CamScanner

في بلائه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[1].

وقالت له امرأته ذات يوم

- يا أيوب لو دعوت ربك يفرج عنك.

قال أيوب : قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة.

واشتد البلاء فإذا بالناس الذين كانت تخدمهم امرأته بالأجر قد خافوا منها أن ينالهم المرض الذى أصاب أيوب عليه السلام، فأصبح ليس معها مال تأتى بالطعام به، فعمدت المرأة الصابرة المؤمنة إلى بيع ضفيرتيها إلى بنات الأشراف بمقابل مادى كى تأتى إليه بالطعام، وأتت أيوب فقال لها : من أين لك هذا؟

فقالت : خدمت به أناساً.

فأنكر ذلك عليها ولم يأكل من طعامها حتى كشفت عن رأسها فرآه محلوقاً، فاشتد على أيوب ورفع يديه إلى ربه قائلاً فى ضراعة : «رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين»[2].

وقيل أنه كان لأيوب أخوان فجاءا يوماً فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد فقال أحدهما لصاحبه : لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا، فجزع أيوب من قولهما جزعاً لم يجزع مثله شيء قط. فقال: «اللهم إن كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط شبعاناً وأنا أعلم مكان جائع فصدقنى، فصدق من السماء وهما يسمعان .. ثم قال : «اللهم إن كنت تعلم أنى لم يكن لى قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقنى، فصدق من السماء وهما يسمعان .. ثم قال : «اللهم بعزتك .. وخر ساجداً .. فقال:

(١) رواه الدارمى فى سننه واحمد فى مسنده والحاكم والترمذى وابن ماجه فى سننه.
(٢) ابن كثير بتصرف.

«اللهم بعزتك لا أرفع رأسى أبداً حتى تكشف عنى» فما رفع رأسه حتى كشف عنه[1]. وكان دعاء أيوب الذى ذكره الله جل وعلا فى القرآن ﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾[2]. إنما جاء بعد مرور ثمانى عشر سنة من البلاء وكان دعاؤه إنما عرضًا لحالته، ولم يكن دعاءً مباشراً لرفع البلاء، ففيه من الأدب والتأدب مع الله وتلك سمات الأنبياء عليهم السلام.

وجاءت الاستجابة الفورية من الله سبحانه وتعالى لعبده أيوب الذى صبر ولم استحى أن يدعو الله برفع البلاء بعد مرور تلك السنوات وكان يرجو الصبر أكثر من هذا.. كان شفاؤه من مرضه أن يغتسل بالماء ويشرب منه، إنه ماء أخرجه الله له من الأرض من تحت قدميه قال تعالى: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ وعاد إليه جسده معافاً وتغير شكله، وحين جاءته امرأته لم تعرفه وهو على أحسن حال.. وقالت له وهى تنكره:

- أى بارك الله فيك! هل رأيت نبى الله هذا المبتلى؟ فوالله العلى القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً. فقال لها : فإنى أنا هو.

وقال ابن عباس ﷺ : وألبسه الله حلة من الجنة، فتنحى أيوب وجلس فى ناحية فجاءت امرأته ولم تعرفه، فقالت : ياعبدالله أين ذهب هذا المبتلى الذى كا ها هنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب.. ، وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك أنا أيوب! قالت: أتسخر منى ياعبدالله! فقال: ويحك أنا أيوب قد رد الله على جسدى.

قال ابن عباس: «ورد الله عليه ماله وولده ومثلهم معهم».

وروى أحمد عن أبى داود الطيالسى وأيضاً ابن حبان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يأخذ منه ويجعل فى ثوبه. قال: فقيل له: يا أيوب أما تشبع؟ قال: يارب ومن يشبع من رحمتك».

(١) المصدر السابق رواية عن أبى حاتم.
(٢) سورة الأنبياء (٨٣).

Scanned by CamScanner

قال تعالى: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضُرٍّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾[1]. وقال أيضاً: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾[2].

وقال ابن عباس عن امرأة أيوب: رد الله إليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولداً ذكراً.

وكان أيوب قد حلف أن يضرب زوجته مائة سوط حين باعت ضفائرها لتأتي إليه بالطعام، وقيل لأن الشيطان عارضها في صورة طبيبة ووصف لها الدواء لأيوب فأتته فأخبرته فعرف أنه الشيطان، فحلف ليضربنها مائة سوط. فلما عافاه الله أمره وأفتاه أن يأخذ ضغثاً وهو نوع من الحطب ويجمعها كلها ويضربها ضربة ويبر بقسمه ولا يحنث.. وهكذا كانت رحمة الله بالزوجة الصابرة قال تعالى: ﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث﴾[3]. ثم عقب بالشهادة الإلهية له: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾[4].

نعم العبد أيوب عليه السلام وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية ﷺ وعلى سائر الأنبياء والرسل.

(١) سورة الأنبياء (٨٤).
(٢) سورة ص (٤٣).
(٣) سورة ص (٤٤).
(٤) سورة ص (٤٤).

١١

زوجة نبي الله موسى عليه السلام
صفورة بنت يثرون ذات الفراسة

صفورة.. وموسى
اللقاء والإختبار

الزوج هو نبى الله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام. . ولد فى مصر وعاش بها وتربى فى قصر فرعون. . وترجع قصته كما تحكى لنا كتب السيرة والتاريخ أن فرعون مصر رأى فى منامه كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بنى إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك، وجمع الكهنة وأهل العلم عنده وسألهم عن رؤياه، فقالوا: يولد غلام من بنى إسرائيل يكون سبباً لهلاكك وأهل مصر(١).

وأمر فرعون بقتل الغلامان التى تولد من بنى إسرائيل، ولما شكى له أهل مصر أن ذلك سيفنى الذكور من بنى إسرائيل الذين يخدمونهم، أمر بقتل الغلامان عام ثم تركهم عاماً وهكذا.

وولد موسى فى عام الذبح كما يحكى فى القرآن الكريم: ﴿طسم ﴿١﴾ تلك آياتُ الكتاب المبين ﴿٢﴾ نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴿٣﴾ إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ﴿٤﴾ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴿٥﴾ ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾(٢).

ونجا الله موسى من الذبح ثم أوحى إلى أمه أن تلقيه فى تابوت وتقذفه فى النهر كى يأخذه فرعون ليربيه فكانت المشيئة الإلهية والقدرة الربانية أن يربى فرعون قاتله وهو لا يدرى؟

قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم

---

(١) ذكره السدى عن ابن عباس ونقله عنه ابن كثير فى تفسيره.
(٢) سورة القصص (١ - ٦).

Scanned by CamScanner

ولا تحافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴿٧﴾ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴿٨﴾ وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ﴿٩﴾ (١).

وبعد أن تربى موسى في قصر فرعون وقتل أحد المصريين حيث استنجد به الذي من شيعته وأهله وعلم فرعون بما فعله موسى عليه السلام، وأشار عليه الناصحون أن يهرب إلى خارج مصر حتى لا يقتله فرعون لقتله المصري.

قال تعالى ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ﴿١٤﴾ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴿١٥﴾ قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴿١٦﴾ قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾ (٢).

وخرج موسى عليه السلام من مصر خائفًا يترقب، حتى وصل إلى مدينة مدين وهم قوم النبي شعيب أصحاب الأيكة. ووجد موسى القوم يجتمعون عند بئر لهم عليها صخرة عظيمة والرعاة حولها بماشيتهم وأغنامهم يريدون أن يرفعوا الصخرة كي يسقوا أغنامهم من الماء، ومن دونهم امرأتان معهما أغنامهما وقد وقفا على جنب حيث ينتهي الرعاة من رفع الصخرة، وسألهما موسى عن أمرهما فقالتا له: إن أباهم شيخ كبير وهما لا يسقيان حتى يتنهي الرعاة من سقاية أغنامهم، فتقدم موسى نحو الصخرة فرفعها بمفرده وسقى لهما أغنامهما وانصرف إلى ظل شجرة وجلس تحتها وقال ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ وقد سمعت إحدى المرأتين قوله وقد وصل به الجهد والجوع مبلغاً عظيماً.

(١) سورة القصص (٧ - ٩).
(٢) سورة القصص (١٤ - ١٧).

قال تعالى: ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ﴿٢١﴾ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴿٢٢﴾ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴿٢٣﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ (١).

ولم يمضي وقت طويل حتى عادت إليه إحدى المرأتين تدعوه لمقابلة أبيها.

هل قابل موسى عليه السلام شعيب النبي

ثار الخلاف بين المفسرين حول الذي قابله موسى عليه السلام في مدين وهو والد المرأتين اللتين سقا لهما، هل هو شعيب النبي صاحب مدين أم هو غيره؟ المشهور من الكثيرين أنه شعيب صاحب مدين ونبيهم نص على ذلك الحسن البصري ومالك بن أنس ولكن الحديث الذي استندوا إليه قال عنه ابن كثير فيه نظر، وقالوا أن شعيب عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه وأنه قابل موسى وتزوج ابنته.

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين وقيل أنه ابن أخي شعيب وقيل ابن عمه وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقيل أن اسمه يثرون وهو عند أهل الكتاب: يثرون كاهن مدين أي كبيرها وعالمها.

وقال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبدالله: اسمة يثرون وزاد أبو عبيدة عن قول ابن عباس: وهو ابن أخي شعيب زاد ابن عباس: صاحب مدين(٢).

(١) سورة القصص (٢١ - ٢٤).
(٢) ابن كثير بتصرف والطبري وغيرهما.

Scanned by CamScanner

ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴿٧﴾ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴿٨﴾ وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ﴿٩﴾(١).

وبعد أن تربى موسى فى قصر فرعون وقتل أحد المصريين حيث استنجد به الذى من شيعته وأهله وعلم فرعون بما فعله موسى عليه السلام، وأشار عليه الناصحون أن يهرب إلى خارج مصر حتى لا يقتله فرعون لقتله المصرى.

قال تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ﴿١٤﴾ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴿١٥﴾ قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴿١٦﴾ قال رب بما أنعمت علىّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾(٢).

وخرج موسى عليه السلام من مصر خائفًا يترقب، حتى وصل إلى مدينة مدين وهم قوم النبى شعيب أصحاب الأيكة. ووجد موسى القوم يجتمعون عند بئر لهم عليها صخرة عظيمة والرعاة حولها بماشيتهم وأغنامهم يريدون أن يرفعوا الصخرة كى يسقوا أغنامهم من الماء، ومن دونهم امرأتان معهما أغنامهما وقد وقفا على جنب حيث ينتهى الرعاة من رفع الصخرة، وسألهما موسى عن أمرهما فقالتا له: إن أباهم شيخ كبير وهما لا يسقيان حتى ينتهى الرعاة من سقاية أغنامهم، فتقدم موسى نحو الصخرة فرفعها بمفرده وسقى لهما أغنامهما وانصرف إلى ظل شجرة وجلس تحتها وقال ﴿رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير﴾ وقد سمعت إحدى المرأتين قوله وقد وصل به الجهد والجوع مبلغاً عظيماً.

(١) سورة القصص (٧ - ٩).
(٢) سورة القصص (١٤ - ١٧).

قال تعالى: ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ﴿٢١﴾ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ﴿٢٢﴾ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴿٢٣﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير﴾(١).

ولم يمضى وقت طويل حتى عادت إليه إحدى المرأتين تدعوه لمقابلة أبيها.

هل قابل موسى عليه السلام شعيب النبى

ثار الخلاف بين المفسرين حول الذى قابله موسى عليه السلام فى مدين وهو والد المرأتين اللتين سقا لهما، هل هو شعيب النبى صاحب مدين أم هو نميره؟ المشهور من الكثيرين أنه شعيب صاحب مدين ونبيهم نص على ذلك الحسن البصرى ومالك بن أنس ولكن الحديث الذى استندوا إليه قال عنه ابن كثير فيه نظر، وقالوا أن شعيب عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه وأنه قابل موسى وتزوج ابنته.

وروى ابن أبى حاتم عن الحسن البصرى أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبى صاحب مدين وقيل أنه ابن أخى شعيب وقيل ابن عمه وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقيل أن اسمه يثرون وهو عند أهل الكتاب : يثرون كاهن مدين أى كبيرها وعالمها.

وقال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبدالله: اسمة يثرون وزاد أبو عبيدة عن قول ابن عباس : وهو ابن أخى شعيب زاد ابن عباس : صاحب مدين(٢).

(١) سورة القصص (٢١ - ٢٤).
(٢) ابن كثير بتصرف والطبرى وغيرهما.

Scanned by CamScanner

والحقيقة التى لا مراء فيها أنه رجل صالح من أهل مدين.. قد يكون قريب الصلة والنسب بالنبى شعيب وهو من أتباع دينه، وشعيب النبى عليه السلام أرسل إلى قومه مدين وذلك بعد لوط عليه السلام وهلاك قومه وقيل فى نسبه شعيب بن يشخر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ويقال شعيب بن صيفور بن عيفا بن مدين بن إبراهيم.. فهو من نسل إبراهيم عليه السلام.. وقيل أنه ممن آمن مع إبراهيم عليه السلام وتزوج بابنة لوط عليهم السلام، والله أعلم.

وقال الطبرى فى تاريخه : أسم الجارتين ليا وصفورة وامرأة موسى صفورة ابنة يثرون كاهن مدين أى عالمها.

وقال أيضاً عن أبى عبيدة : كان الذى استأجر موسى اسمه يثرون ابن أخى شعيب النبى. وقيل عن ابن عباس أن اسمه : يثرى. والله أعلم.

موسى وزواجه من ابنة الرجل الصالح

وحين أرسل الرجل الصالح إلى موسى يدعوه كى يجازيه على ما فعله، قالت له إحدى ابنتيه مشيرة عليه بالرأى : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين.

قال لها الأب : وما علمك بهذا؟

قالت : إنه رفع الصخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه فقال : كونى من ورائى، فإذا اختلف الطريق فأحذفى لى بحصاة أعلم بها كيف الطريق.

قال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة صاحب يوسف حين قال لامرأته: أكرمى مثواه، وصاحبة موسى حين قالت : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب[1].

(١) ابن كثير القصص.

قال تعالى: ﴿ فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴿٢٥﴾ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴿٢٦﴾ قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين ﴿٢٧﴾ قال ذلك بينى وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل ﴾[1].

وهكذا عرض الأب أن يزوجه إحدى ابنتيه مقابل أن يعمل له فى رعى الغنم ثمانى سنوات أو عشر سنوات أى الأجلين. ووافق موسى عليه السلام وتزوج من ابنة الرجل الصالح وهى التى أشارت على أبيها باستئجار موسى عليه السلام.

قال ابن عباس : الجارية التى دعته هى التى تزوج بها. فأمر إحدى ابنتيه أن تأتيه بعصا فأتته بعصا، وكانت تلك العصا عصا استودعها إياه ملك فى صورة رجل، فدفعها إليه، فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها، فلما رأها الشيخ قال لها : لا .. أتته بغيرها، فألقتها، فأخذت تريد أن تأخذ غيرها فلا يقع فى يدها إلا هى، وجعل يردها فكل ذلك لا يخرج فى يدها غيرها، فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه فرعى بها. ثم إن الشيخ قدم وقال: كانت وديعة: فخرج يتلقى موسى، فلما لقيه قال: أعطنى العصا. فقال موسى: هى عصاى. فأبى أن يعطيه، فاختصما بينهما ثم تراضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما، فأتاهما ملك يمشى فقضى بينهما فقال: ضعاها فى الأرض فمن حملها فهى له، فعالجها الشيخ فلم يطقها، وأخذها موسى بيده فرفعها، فتركها له الشيخ، فرعى له عشر سنين.

وعن الأجلين إيهما قضى موسى هل ثمانى سنوات أم عشر سنوات،

(١) سورة القصص (٢٥ - ٢٨).

Scanned by CamScanner

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: **سألت جبريل: أى الأجلين قضى موسى: قال: أتمهما وأكملهما**[1].

وبعد قضاء الأجل أراد موسى أن يفارق الرجل الصالح، فأعطاه بعض الغنم، وسار موسى بأهله فى سيناء ومعه أهله والغنم التى أخذها من الرجل الصالح والد زوجته، وعند اللقاء والرسالة عند طور سيناء.. قال تعالى: ﴿فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴿٢٥﴾ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين ﴿٢٦﴾ قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين ﴿٢٧﴾ قال ذلك بينى وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علىّ والله على ما نقول وكيل ﴿٢٨﴾ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ﴿٢٩﴾ فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين ﴿٣٠﴾ وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴿٣١﴾ اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾[2].

وقد قصد موسى بالذهاب إلى سيناء رؤية أهله وهو مختف.. وكان الجو بارداً مظلماً، ورأى ناراً عظيمة فى جانب الطور، وهو الجبل الغربى منه على يمينه.. فقال لأهله: ﴿امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾. قيل: إنه رأى النار بمفرده لأنها لم تكن نار وإنما نوراً.

فلما جاء حيث شاهد النار نودى من قبل الحق سبحانه وتعالى: ﴿فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾ سورة النمل.

(١) رواه الطبرى فى تاريخه والحاكم وابن كثير في التفسير والطبرانى وضعفه.

وأمره الله عز وجل بخلع نعليه وقال له:

- يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم.

- إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى.

وأخبره الله تعالى أن هذه الدنيا ليست دار قرار وإنما هى دار اختبار، وإن الدار الباقية هى الآخرة يوم القيامة.

ثم سأله على سبيل الاستئناس:

وما تلك بيمينك يا موسى؟

قال: هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى.

قال: ألقها يا موسى.

فإذا هى حية تسعى.

فخاف موسى وهرب، فأمره الله عز وجل أن يبسط يده وأخذها من ذنبها، فلما أمسكها ارتد عصا كما كانت. ثم أمره الله عز وجل أن يدخل يده فى جيبه ثم أمره بنزعها فإذا هى تتلألأ مثل القمر بياضاً من غير سوء، ثم قال له: إن هذان برهانان حين تأتى إلى فرعون كى تخبره أنك رسول ربك إليه، كى تأخذ بنى إسرائيل وتخرج من العذاب الذى لحق بهم من فعل فرعون وقومه.

قال موسى عليه السلام فيما ذكره القرآن الكريم: ﴿قال رب إنى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون ﴿٣٣﴾ وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون ﴿٣٤﴾ قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾[1].

ثم سأل موسى ربه أن يشرح له صدره ويسر له أمره ويحلل عقدة من

(١) سورة القصص (٣٣ - ٣٥).

Scanned by CamScanner

لسانه يفقه قوله.. وذلك لأنه أصيب فى لسانه لثغة بسبب تلك الجمرة التى وضعت على لسانه وهو صغير حين جاءوا به إلى فرعون وأراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير وأراد قتله فقالوا له: إنه صغير لا يعقل.

﴿هارون أخى ﴿٣٠﴾ اشدد به أزرى ﴿٣١﴾ وأشركه فى أمرى ﴿٣٢﴾ كى نسبحك كثيرا ﴿٣٣﴾ ونذكرك كثيرا ﴿٣٤﴾ إنك كنت بنا بصيرا ﴿٣٥﴾ قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾(١)

وعاد موسى عليه السلام إلى أهله وحكى لهم ما حدث له، وفرحت بذلك زوجته التى أيدته وشجعته فقد تحققت فراستها فيه - فكانت عوناً له حين عاد إلى أهله، وحين قابل فرعون وقومة، وحدث ما حدث وحكاه لنا القرآن الكريم من رفض فرعون الانصياع لأوامر الحق سبحانه وتعالى وامتنع عن إخراج بنى إسرائيل وأرسالهم مع موسى حيث أمره الله. قال تعالى ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ﴿١٠﴾ قوم فرعون ألا يتقون ﴿١١﴾ قال رب إنى أخاف أن يكذبون ﴿١٢﴾ ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل إلى هارون ﴿١٣﴾ ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون ﴿١٤﴾ قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ﴿١٥﴾ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ﴿١٦﴾ أن أرسل معنا بنى إسرائيل ﴿١٧﴾ قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ﴿١٨﴾ وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين﴾(٢).

وانتهى عناد فرعون بأن هلك هو ومن معه فى البحر ونجا الله بنى إسرائيل من ظلم فرعون، وكان ماكان من أمر قوم موسى معه من عناد وكفر بعد أن نجاهم الله سبحانه وتعالى من ظلم فرعون لهم ماحكاه القرآن وذكره فى آيات كثيرة، وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين عاماً كما ذكره الطبرى فى تاريخه، وعاشت معه المرأة المؤمنة ذات الفراسة الثاقبة رضي الله عنها حتى توفاه الله على ذلك وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة طه (٣٠ - ٣٦).

١٢

زوجة نبى الله داود عليه السلام

الزوجة المائة

داود وزوجته رقم مائة

هو داود بن إيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمى نادب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم(١).

كان قصيراً. قليل الشعر طاهر القلب، أتاه الله النبوة والملك، وقتل على يده جالوت ملك العماليق، وقد اختاره الله على علم وأنزل عليه الزابور، قال تعالى: ﴿وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾.

وذكر السدى فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه وكانوا ثلاثة عشر ذكراً، كان سمع طالوت ملك بنى إسرائيل وهو يحرض بنى إسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول من قتل جالوت زوجته بابنتى وأشركته فى ملكى، وكان داود يرمى بالقذافة وهو المقلاع رمياً عظيماً فبينما هو سائر مع بنى إسرائيل إذ ناداه حجراً إن خذنى فإن بى تقتل جالوت، فأخذه ثم حجر آخر كذلك ثم آخر كذلك، فأخذ الثلاثة فى مخلاته فلما تواجه الصفان برز جالوت ودعا إلى نفسه فتقدم إليه داود فقال له: ارجع فإنى أكره أن أقتلك، فقال داود: لكنى أحب قتلك وأخذ تلك الأحجار الثلاثة فوضعها فى القذافة ثم أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحداً، ثم رمى بها جالوت ففلق رأسه وفر جيشه منهزماً، فوفى له طالوت بما وعده، فزوجه بابنته، وأجرى حكمه فى ملكه وعظم داود عليه السلام عند بنى إسرائيل وأحبوه ومالوا إليه أكثر من طالوت، فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله واحتال على ذلك فلم يصل إليه، وجعل العلماء ينهون طالوت عن قتل داود فتسلط عليهم فقتلهم حتى لم يبق إلا القليل، ثم حصل له توبة وندم وأقلع عما سلف وجعل يكثر البكاء ويخرج إلى الجبانة فيبكى حتى يبل الثرى بدموعه فنودى ذات يوم من الجبانه : أن ياطالوت قتلنا ونحن أحياء وآذيتنا ونحن أموات، فازداد لذلك بكاءه وخوفه واشتد وجله ثم جعل يسأل عن

Scanned by CamScanner

عالم يسأله عن أمر وهل له من توبة؟ فقيل له: وهل لقيت عالماً! حتى دل على امرأة من العابرات فأخذته فذهبت به إلى قبر يوشع عليه السلام، فقالوا فدعت الله فقام يوشع من قبره. فقال: أقامت القيامة؟ فقالت لا، ولكن هذا طالوت يسألك: هل من توبة؟

فقال: نعم ينخلع من الملك ويذهب فيقاتل فى سبيل الله حتى يقتل ثم عاد ميتاً. فترك طالوت الملك لداود عليه السلام وذهب مع أولاده الثلاثة عشر فقاتلوا فى سبيل الله حتى قتلوا [1].

وقال العقيلى: إنها أتت به إلى قبر شمويل فعاتبه على ما صنع بعده من الأمور. قال ابن كثير: وهذا أنسب ولعله إنما رأه فى المنام لا أنه قام من القبر حياً فإن هذا إنما يكون معجزة لنبى وتلك المرأة لم تكن نبية والله أعلم.

وما ذهب إليه ابن كثير أقرب إلى الواقع والمعقول والشرع.

قال تعالى: ﴿**وقتل داودُ جالوت وآتاه اللهُ المُلْك والحِكْمَة وعلَّمه مما يشاءُ ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضهم ببعضٍ لفسدت الأرضُ ولكنَّ اللهَ ذو فضلٍ على العالمين**﴾ [2].

وأسبغ الله على دواود من فضله أن جعل الجبال والطير يسبحن معه وعلمه صناعة الدروع من الحديد. فقد جعل له الحديد لين حتى كان يفتله بيده دون حاجة إلى نار أو مطرقة. قال تعالى: ﴿**واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب. إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق والطير مشحورة كل له أواب، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**﴾.

قال قتاده: أعطى قوة فى العبادة وفقهاً فى الإسلام وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر.

(١) ذكره ابن جرير الطبرى فى تاريخه بإسناده وقال ابن كثير بعد أن أورده فى القصص: وفى بعض هذا نظر ونكارة والله أعلم. وذكر الطبرى فى تاريخه أخباراً كثيره فحواها ما ذكرناه وقال ابن إسحاق: إن النبى الذى بعث وأخبر طالوت بالنبوة هو اليسع بن أخطوب والله أعلم.

(٢) سورة البقرة (٢٥١).

قال ﷺ: «**أحب صلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى**»[1].

وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة وكانت مدة حكمه أربعون عاماً.

ذكر زواجه بالمائة

ذكر المفسرون وأصحاب التاريخ قصصاً حول زواج داود عليه السلام بالزوجة المائة التى قيل: إنها أم ابنه سليمان عليهما السلام. وسميت بزوجة أوريا وهو أحد قواده أو جنوده، ومعظم هذه القصص من الإسرائيليات، قال عنها ابن كثير: ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ها هنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات. ومنها ماهو مكذوب لا محالة. وذكر قوله تعالى: ﴿**إذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط ﴿٢٢﴾ إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب ﴿٢٣﴾ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ﴿٢٤﴾ فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب**﴾[2].

وقيل أن إسمها سارة أو آسيه أو كليثمة، ولم يثبت صحة ذلك.

وما ذكره المفسرون حول تفسير تلك الآيات أن داود عليه السلام رأى امرأة ذات يوم وهو على سطح داره وهى تستحم وأعجبته، وعلم أن زوجها فى الجيش واسمة أوريا وتمنى داود أن يتزوجها، فأرسل أوريا إلى القتال أكثر من مرة حتى قتل، وتزوج داود عليه السلام بزوجة أوريا، ثم أرسل الله إليه

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما والشافعى وابن ماجه وأحمد فى مسنده والدارمى وابن عساكر فى تاريخه.

(٢) سورة ص (٢٢ - ٢٥).

Scanned by CamScanner

ملكان يختصمان إليه كما ذكرت الآيات وحكم داود للذى له نعجة واحدة. ثم رأى الملكان يصعدان إلى السماء فعلم أنه فتن وتاب إلى الله فظل يبكى أربعون يوماً وهو ساجد حتى تاب الله عليه.. ولم يصح من هذه الروايات شيئاً ونحن نقف أمام الآيات والله أعلم بالمراد.

وذكر ابن كثير عن محمد بن سعد، أن اليهود قالت لما رأت النبى ﷺ يتزوج النساء: انظروا إلى هذا الذى لا يشبع من الطعام ولا والله ما له همة إلا إلى النساء إن الله أنزل قوله: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ وقوله: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وإتيناهم ملكاً عظيماً﴾ يعنى ما آتى الله سليمان بن داود كانت له ألف امرأة سبعمائة مهدية وثلاثمائة سرية. وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة منهن امرأة أوريا أم سليمان بن داود التى تزوجها بعد الفتنة.

ولم يذكر التاريخ أى مواقف لها إلا أننا نذكرها هنا لما حام حولها من القصص والإسرائيليات التى لم تثبت فى حق نبى الله داود عليه السلام، والله أعلم.

وذكر عنها ابن كثير ما قال النبى ﷺ: «**قالت أم سليمان بن داود: يابنى لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة**» رواه ابن ماجه، وقال عنها ابن كثير كانت من العابدات الصالحات رضي الله عنها وأرضاها.

١٣

زوجة سليمان بن داود عليهما السلام بلقيس بنت السيرج

Scanned by CamScanner

بلقيس ذات الفراسة

ورث سليمان بن داود ملك أبيه والنبوة، وأعطاه الله مالم يعطيه كثيراً من الأنبياء فعلمه لغة الطير والحيوانات وسخر له الجن والشياطين يعملون لأمره ما يشاء.

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾(١).

وحشر الله له جنوده من الجن والإنس والطير يعملون بأمره ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾(٢).

وذات يوم علم سليمان عليه السلام من أحد جنوده من الطير وهو الهدهد أن هناك مملكة باليمن تحكمها امرأة تسمى بلقيس وأن قومها يعبدون الشمس من دون الله، قال تعالى ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(٣).

قال الحسن البصرى: إن المرأة التى كانت تملك القوم هى بلقيس بنت سراحيل ملكة سبأ فى أرض يقال لها مأرب بالقرب من صنعاء. وقال ابن كثير: هى بلقبس بنت السيرج وكان أبوها من أكابر الملوك، وما ذكر عن زواج أبوها من إحدى بنات الجن لم يصح منه شيئاً.

---

(١) سورة النمل (١٦).
(٢) سورة النمل (١٧).
(٣) سورة النمل (٢٠ - ٢٦).

Scanned by CamScanner

وأرسل سليمان بن داود عليهما السلام رسالة إلى بلقيس يدعوها إلى الإسلام أو الحرب. قال تعالى: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1].

وهنا ظهرت فراسة بلقيس حيث أشارت على قومها بالصواب والرأى الرشيد، وبعد أن أرسلت إلى سليمان بالهدايا وردها إليها، علمت أنه ليس ملكاً عادياً وإنما هو نبى من عند الله، وأسلمت بلقيس وأعلنت إسلامها فى قصر سليمان لله رب العالمين.

وأراد سليمان بن داود اختبار ذكائها وفراستها فأمر أن يؤتى العرش الذى هو سرير ملكها وكان عظيم الشأن فقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وقال الذى عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، وجاء بالعرش أمام سليمان فأمر بالعرش فنكل أى غيروا بعض معالمه.. وحين حضرت بلقيس سألها.

- أهكذا عرشك؟

أجابت بذكاء ودبلوماسية: كأنه هو.

وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج وعمل ممره فى الماء وجعل عليه سقفاً من زجاج، وجعل فيه السمك وغيره من دواب الماء، وأمرت

(١) سورة النمل (٢٨ - ٣٧).

بلقيس بالدخول وسليمان جالس على سريره فلما رأته حسبته لجة أى ماء وتراب فكشفت عن ساقيها، قال سليمان: إنه صرح ممرد من قوارير.. فأعلنت إسلامها وقالت:

- ربى إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

وأراد سليمان الزواج بها وكان قد رأى أن بساقيها شعراً فأراد أن تزيله بالموسى فرفضت فأشار الجن عليه وصنعوا لها النوره وصنعوا له الحمام.

وذكر الثعالبى وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وردها إليها وكان يزورها فى كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن «غمدان وسالحين وبيتون» والله أعلم.

وروى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبة أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها ملك همدان وأخرها على ملك اليمن ولكن ابن كثير رجح زواجها من سليمان بن داود وقال: أشهر وأظهر والله أعلم.

Scanned by CamScanner

١٤

زوجة نبى الله زكريا وأم نبى الله يحيى عليهم السلام

Scanned by CamScanner

الزوجة العاقر التى أنجبت نبيا

الزوج هو زكريا بن برضيا ويقال زكريا بن دان ينتهى نسبه إلى داود عليه السلام، هو من أنبياء بنى إسرائيل وهو الذى كفل السيدة مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام.

وحين رأى فضل الله على مريم بنت عمران.

﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾[1].

وكانت امرأة زكريا عاقراً لا تلد وقد بلغت من العمر عتياً.. ولكن لا يأس من رحمة رلله تعالى - ودعا زكريا ربه دعاء خفيا!! ﴿ وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين ﴿٨٩﴾ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾[2].

ولم تذكر كتب التفسير والتاريخ معظمها اسم زوجة زكريا عليه السلام. وقيل: إن اسمها إشاع بنت فاقوذا أم يحيى عليه السلام ذكرها الخطيب العمري[3].

وكانا الزوجين يحيان حياة طيبة هنيئة فالزوج من أبناء بنى إسرائيل، وزوجته أخت زوجة عمران أم مريم عليها السلام وتسمى «حنة».. وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لنبيه زكريا وأصلح له زوجته وأنجبت له ابنه «يحيى» الذى بشر بالنبوة قبل مولده. قال تعالى: ﴿ كهيعص ﴿١﴾ ذكر رحمت ربك عبده زكريا ﴿٢﴾ إذ نادى ربه نداء خفيا ﴿٣﴾ قال رب إنى وهن العظم

---

(١) سورة آل عمران (٣٧ - ٤١).

(٢) سورة الأنبياء (٨٩ - ٩٠).

(٣) كتاب الروضة الفيحاء.

Scanned by CamScanner

مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ﴿٤﴾ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ﴿٥﴾ يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴿٦﴾ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴿٧﴾ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴿٨﴾ قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ﴿٩﴾ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴿١٠﴾ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴿١١﴾ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ﴿١٢﴾ وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ﴿١٣﴾ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ﴿١٤﴾ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾[1].

وبالفعل أنعم الله على زكريا وزوجته بالولد الصالح الذى لم يذكر اسمه من قبل، وقد سماه الله سبحانه وتعالى.. وعاصر الابن الصالح ابن خالته عيسى بن مريم.. وقد امتحن الابن فى دينه وصبر على البلاء حتى قتل غدراً وظلماً ومات أبيه أيضًا كذلك، قال تعالى: ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ﴿١٢﴾ وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ﴿١٣﴾ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ﴿١٤﴾ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾[2].

ورغم أن الله سبحانه وتعالى أعطى زكريا الولد ولكن لم يجعل له منه الذرية وانتهى عقبه إلى ابنه وانتهت النبوة بعد رفع ابن خالته عيسى بن مريم من بنى إسرائيل حتى وصلت إلى النبى الخاتم ﷺ.

(١) سورة مريم (١ - ١٥).
(٢) سورة مريم (١٢ - ١٥).

١٥

زوجات الرسول ﷺ

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
سودة بنت زمعة رضي الله عنها
عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها
حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها
زينب بنت خزيمة رضي الله عنها
أم سلمة رضي الله عنها
زينب بنت جحش رضي الله عنها
جويرية بنت الحارث رضي الله عنها
صفية بنت حُيَيّ رضي الله عنها
أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها
ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

Scanned by CamScanner

١ - خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

هى أم المؤمنين الأولى.. تزوجها النبى ﷺ بمكة وهى ذات نسب وشرف ومال وجمال، وعمرها أربعون عاماً، وكان عمره وقتها خمسة وعشرين عاماً، وذلك قبل البعثة وانفردت عن باقى زوجاته أنه لم يتزوج عليها فى حياتها، ولم ينجب من غيرها أولاداً سوى جاريته مارية القبطية، فهى ملك يمين وليست زوجة. وعاشت السيدة خديجة مع رسول الله ﷺ معه قبل البعثة وبعد أن بعث بالرسالة الخاتمة وتحملت معه الصعاب وآزرته وأيدته وهى أول من آمن به وأسلم على وجه الإطلاق، تحملت معه عبء الدعوة في بدايتها، وماتت فى حياته بمكة رضي الله عنها.

وكانت قبل زواجها بالنبى ﷺ قد تزوجت مرتين ومات عنها زوجاها.

لقد كانت لها تجارة واسعة فهى من أغنياء مكة وكانت تستأجر تجار مكة للتجارة لها فى رحلتى الشتاء والصيف وكان التجار يسرقونها ولا تستطيع معهم حيلة، حتى سمعت عن أمانة وصدق محمد بن عبدالله رضي الله عنه فأرسلت إليه كى يتجار لها فى رحلة الشام.

لقاء وتعارف وزواج

ذهب الرسول ﷺ بالتجارة إلى الشام فى مال السيدة خديجة رضي الله عنها، ومعه غلامها ميسرة التى كانت ترسلها مع تجارتها كى يخبرها ماذا يحدث من أمر التجارة والتجار، وقد كان من قبل يذكر لها كيف أن التجار يسرقونها، وماذا يفعلون. وذهب ميسرة فى رحلة التجارة مع رسول الله ﷺ ورأى عجباً.. فقد رأى صدق رسول الله ﷺ فى البيع والشراء ورأى سحابة تظلله إذا مشى بمفرده فى حر الشمس، وأراد أن يتأكد من ذلك مشى بجواره. فإذا السحابة قد اختفت، وقرب حدود الشام جلس رسول الله ﷺ بجوار صومعة

Scanned by CamScanner

راهب تحت شجرة، وأرسل الراهب إلى ميسرة يسأله عن هذا الرجل الذى معه وأخبره ميسرة عنه، فقال له الراهب: أن هذه الشجرة لا يجلس تحتها إلا نبى من عند الله.

وعاد ميسرة ليحكى لسيدته ما حدث فى الرحلة وما رآه من أمر النبى ﷺ.

وأدركت السيدة خديجة بفراستها أن لمحمداً ﷺ شأن عظيم. وقد رأت من قبل رؤيا فسرها لها ابن عمها ورقة بن نوفل أنها ستتزوج بخاتم الأنبياء نبى العرب والعجم.

وأرسلت إليه السيدة نفيسة بنت أمية تعرض عليه الزواج منها، وعرض النبى ﷺ الأمر على عمه أبى طالب الذى رحب بفكرة زواجه من خديجة رضي الله عنها.

وتم الخطبة والزواج بحضور الأهل والأقارب. وفى بيت الزوجية عاشت السيدة خديجة رضي الله عنها وزوجها رسول الله ﷺ حياة ملؤها السعادة والهناء، ولم يكن فى مكة بيتاً يشع نوراً وسعادة مثل بيت رسول الله ﷺ.

ولم تمر السنوات حتى ملئ البيت بالأولاد والبنات، ولكن الذكور من الأولاد لم يعيشوا وماتوا وهم صغار، وتبقى البنات وهن زينت ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن.

وكان الرسول ﷺ قبل البعثة يذهب حيث غار حراء للتعبد والعبادة، فهو لا يعبد الأصنام مثل قومه وإنما كان يعبد الله على دين إبراهيم عليه السلام دين الحنيفية السمحاء دين الإسلام. وكانت زوجته تساعده على عبادته وتجهز له طعامه وشرابه وكانت خلوته وعبادته فى شهر رمضان من كل عام.

وذات يوم من أيام شهر رمضان وهو فى غار حراء وقد بلغ رسول الله ﷺ عامه الأربعين.. يدخل عليه ملك فى هيئة رجل ويجلس إليه ويقول لها اقرأ: فيقول له الرسول ﷺ: ما أنا بقارئ!! ويضمه الملك ويرسله ويقول له:

اقرأ! ويرد الرسول ﷺ: ما أنا بقارئ. ويفعله معه الثالثة والرسول ﷺ يقول له: ما أنا بقارئ.

ويقول له الملك جبريل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

وكانت تلك أول آيات القرآن نزولاً على رسول الله ﷺ فى ليلة القدر فى شهر رمضان فى غار حراء.

ويرجع الرسول ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها وهو فزع يرتجف مما رأى وسمع. ويقول لها:

- زملونى.. زملونى

فوضعت عليه الأغطية وذهب عنه الروع الذى ألم به وأخبرها الخبر وقال لها: خشيت على نفسى؟ فقالت له بصوت المؤمنة الواثقة وهى صاحبة الفراسة:

- كلا.. والله ما يخزيك الله أبداً.. إنك لتصل الرحم وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم وتصدق الحديث وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فوالله ما يخزيك الله أبدًا.

وذهبت به إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل الذى كان يعبد الله على دين النصرانية ودين إبراهيم، ويقرأ التوراة والإنجيل والكتب القديمة، وأخبرته بما حدث لزوجها، فقال ورقة بن نوقل وهلل واستبشر:

- قدوس.. قدوس.. هذا هو الناموس الذى نزل على موسى.. ليتنى كنت حيًا إذ يخرجك قومك.

قال النبى ﷺ: أو مخرجى هم؟

قال ورقة بن نوفل: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى.. وإن يدركنى يومك أنصرك.

Scanned by CamScanner

خديجة والدعوة الإسلامية

كانت أول من أسلم وآمن وأعلن طاعته لله ورسوله ﷺ. ووقفت بجواره بعد أن نزل عليه القرآن يأمره بالدعوة إلى الله، وجاهدت معه بمالها ونفسها وتحملت إيذاء قومها، حتى فى حصار قريش لبنى هاشم ثلاث سنوات فى شعب إبى طالب بمكة وظلت معه فى الحصار حتى أجهدت، وخرج المسلمون ومن معهم من الحصار وقد مرضت السيدة خديجة مرضاً شديداً ومانت فى مرضها هذا ولقيت ربها راضية مرضية ودفنها رسول الله ﷺ بالحجون بمكة المكرمة.

٢ - سودة بنت زمعة العامرية رضي الله عنها

بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها اشتد الحزن عليها من رسول الله ﷺ ولم يرغب فى الزواج من غيرها فى حياتها وبعد وفاتها. . حتى جاءته إمرأة الصحابى عثمان بن مظفون وهى خولة بنت حكيم بن أمية وكان ذلك فى مكة قبل الهجرة سنة عشرة من البعثة وقال له :

أى رسول الله، ألا تتزوج؟

فقال ﷺ : ومن؟

قالت : إن شئت بكراً. وإن شئت ثيباً [1].

قال : فمن البكر؟

قالت : ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر

قال : ومن الثيب؟

قالت : سودة بنت زمعة بن قيس، قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه.

قال : فاذهبى فاذكريهما علَّى «أى اخطبيهما لى».

فذهبت خولة بنت حكيم بيت أبى بكر فوجدت أم رومان زوجة أبى بكر الصديق وأم عائشة رضي الله عنها. فقالت : أى أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة : قالت أم رومان : أو ماذاك؟

قالت : أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قالت أم رومان : وودت! انتظرى أبا بكر فإنه آت.

فجاء أبو بكر، فقالت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليك من الخير

(١) البكر هى التي لم تتزوج. والثيب هى التى سبق لها الزواج.

Scanned by CamScanner

والبركة، أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قال أبو بكر رضي الله عنه : وهل تصلح له إنما هى ابنة أخيه.

ورجعت السيدة خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت له ذلك، فقال : ارجعى إليه فقولى له : أنت أخى فى الإسلام، وأنا أخوك ابنتك تصلح لى؟

فأتت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال لها:

- انتظرينى حتى أرجع، وذهب إلى المطعم بن عدى وكان ذكرها على ابنه أى خطبها لابنه، وكان أبو بكر لا يريد أن يخلف وعده معهم.. وعندما ذهب إليهم قالت له امرأة المطعم بن عدى: لعلنا زوجنا ابننا نحن ابنتك أن تصبئه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه. فنظر إلى زوجها المطعم وقال: ماتقول هذه؟ إنها تقول ذلك. أى أن المطعم بن عدى رد خطبة ابنه لعائشة رضي الله عنها خشية أن يدخل ابنه فى دين أبى بكر رضي الله عنه وهنا استراح أبو بكر لذلك.

ودعا أبو بكر رسول الله ﷺ فجاء فأنكحه عائشة رضي الله عنها بعقد العقد دون الدخول حتى تكبر وكانت ابنة ستة سنين أو أكثر.

وذهبت خولة بنت حكيم إلى سودة بنت زمعة.. فقالت لها : أى سودة، ما أدخل الله عليك من الخير والبركة! قالت : وما ذاك؟

قالت : أرسلنى رسول الله ﷺ يخطبك عليه.

قالت سودة : وددت! ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك.

وخاطبت خولة أبا سودة وكان شيخاً كبيراً. قالت له : إن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب أرسلنى لأخطب عليه سودة.

فقال : أى سودة، زعمت هذه أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب أرسل يخطبك، وهو كفء كريم، فتحبين أن أزوجكه : قالت : نعم.

قال : فادعيه لى، فدعته فزوجه.

فدخل رسول الله ﷺ بسودة بنت زمعة بمكة. عائشة يومها بنت ست سنين.

حياة سودة قبيل زواجها بالنبى ﷺ

عاشت سودة حياتها بمكة المكرمة قبل بعثة رسول الله ﷺ، وعندما أمر النبى ﷺ بتبليغ الدعوة للناس كان من أوائل المؤمنين به السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ القرشى العامرى زوج سودة بنت زمعة وابن عمها.

وهاجر السكران بن عمرو وزوجته سودة بنت زمعة إلى الحبشة ومعه أفراد من عائلة بنى عامر لعمه مالك بن زمعة أخو سودة وسليط وحاطب ولدا عمرو بن عبدشمس أخوة السكران بن عمرو وابن أخيه عبدالله سهيل بن عمرو.

ومع هؤلاء النفر المؤمنين زوجاتهم وكلهن أيضاً من بنى عامر.

وعاشت سودة مع زوجها وأهلها فى الحبشة مهاجرة فى سبيل الله صابرة مؤمنة، وعادت سودة إلى مكة بعد أن لبثت مع زوجها فى الحبشة فترة من الزمان وعند بلوغها مكة المكرمة مرض زوجها مرضاً شديداً وتوفى تاركاً سودة أرملة[1].

سودة بنت زمعة فى بيت النبوة

دخلت سودة بنت زمعة رضي الله عنها بيت النبوة قبل الهجرة إلى المدينة مباشرة، ترعى رسول الله ﷺ وأبناءه من خديجة رضي الله عنها، وكانت كبيرة فى السن طيبة القلب، تسعى إلى مرضاة رسول الله ﷺ ومرضاة ربها عز وجل.

هى أول زوجة بعد السيدة خديجة رضي الله عنها وثانى زوجاته ﷺ فى مكة المكرمة.

(١) قيل أن السكران زوج سودة مات قبل الهجرة بالحبشة وقيل أيضاً أنه مات بمكة عند عودته إليها.

Scanned by CamScanner

وهاجرت سودة بنت زمعة ﵂ إلى المدينة المنورة ولحقت برسول الله ﷺ، وكانت تقوم على خدمة رسول الله ﷺ وأولاده من خديجة حتى جاءت عائشة ﵂ فأعطتها مكانها فى البيت وأيضاً مكانها فى فراش الزوجية، فلقد تزوج رسول الله ﷺ بزوجات آخريات كما سنعرف.

ولأن سودة بنت زمعة كانت كبيرة فى السن فقد قالت لرسول الله ﷺ: أمسكنى، والله مابى على الأزواج من حرص ولكنى أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجاً لك.

وقالت له أيضا: ابقنى يارسول الله وأهب ليلتى لعائشة وإنى لا أريد ما تريد النساء.

قالت عائشة عنها: كانت سودة بنت زمعة قد أسنت[1] وكان رسول الله ﷺ لا يستكثر منها، وقد علمت مكانى من رسول الله ﷺ وأنه يستكثر منى. فخافت أن يفارقها وضنت بمكانها عنده، فقالت:

يارسول الله، يومى الذى يصيبنى لعائشة، فقبله النبى ﷺ، وفى ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾[2].

وظلت عائشة ﵂ تذكر لها صنيعها وتؤثرها بجميل الوفاء.

وعاشت سودة فى بيت النبوة حتى توفى رسول الله ﷺ، وعاشت هى حتى ماتت فى عهد عمر بن الخطاب ﵁ أجمعين.

(١) كبر سنها.
(٢) سورة النساء (١٢٨).

٣ - عائشة بنت أبى بكر ﵂

إنها الصديقة بنت الصديق ﵄.. أم المؤمنين.. عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافه بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

تزوجها النبى ﷺ كما ذكرنا من قبل عند حديثنا عن زواجه من السيدة سودة بنت زمعة فى مكة قبل الهجرة ولم يدخل بها لأنها كانت صغيرة فى السن.. بنت ست أو سبع سنوات، ودخل بها ﷺ فى المدينة المنورة بعد الهجرة إليها وهى بنت تسع سنوات، وأمهرها رسول الله ﷺ متاع بيت قيمته خمسون درهماً.

وحين خطبها رسول الله ﷺ قال له أبو بكر الصديق: يا رسول الله، قد كنت وعدت بها المطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف لابنه حبيب، فدعنى حتى أسلها منهم ففعل.

واشتهر عن قوم أبى بكر بنو تيم بالشجاعة والكرم والأمانة وسداد الرأى.. وحسن معاملة نسائهم.

قال ﷺ لأبيها الصديق ﵁: «ما دعوت أحد إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد إلا ماكان من أبى بكر بن قحافة ما حكم -ما انتظر- حين ذكرته له وما تردد فيه».

وقال أيضا عنه: ما نفعنى مال قط ما نفعنا مال أبى بكر» وبكى أبو بكر وقال: يارسول الله هل أنا ومالى إلا بك؟

وأم السيدة عائشة هى أم رومان بنت عامر الكنانية من الصحابيات تزوجت قبل أبى بكر فى الجاهلية عبدالله بن الحارث الأسدى ولدت له الطفيل وأنجبت من أبى بكر عائشة وعبدالرحمن. توفيت فى حياة رسول الله ﷺ وقد أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة ﵂.

Scanned by CamScanner

عائشة قبل الزواج بالنبى ﷺ

ولدت عائشة رضي الله عنها بمكة المكرمة بعد أربع أو خمس سنوات من بعثة النبى ﷺ، وأسلمت هى وأختها أسماء وهى ما زالت صغيرة السن.

قالت عن نفسها : لم أعقل أبوىّ قط إلا يدينان الدين «أى مسلمين» أخرجه البخارى.

وعرفها رسول الله ﷺ منذ ولادتها وعندما أراد الزواج رأها فى منامه مرتين.. قالت عائشة رضي الله عنها: **«إن النبى ﷺ قال لها : رأيتك فى المنام مرتين، أرى أنك فى سرفة -شقة بيضاء- من حرير ويقول: هذه امرأتك. فأكشف عنها، فإذا هى أنت!! فأقول : أن يك هذا من الله يمضيه.»** أخرجه البخارى.

وعاشت عائشة رضي الله عنها لحظة الهجرة حين جاء رسول الله ﷺ صاحبة وصهره أبا بكر رضي الله عنه وقت الضحى. وقتها قال أبو بكر رضي الله عنه: «ماجاء رسول الله ﷺ إلا لأمر حدث».

فلما دخل تأخر له أبو بكر وأجلسه على سريره، وتكلم ﷺ مع أبى بكر دون أن ينظر إلى أسماء وعائشة وقال: أخرج عنى من عندك.

قال الصديق: يارسول الله إنما هى ابنتاى. وما ذاك؟ فذاك أبى وأمي.

قال عليه الصلاة والسلام : قد أذن لى فى الخروج والهجرة.

هتف الصديق رضي الله عنه : الصحبة يارسول الله الصحبة.

ويكى أبو بكر رضي الله عنه من الفرح لصحبته لرسول الله ﷺ فى هجرته إلى المدينة حتى قالت عائشة رضي الله عنها: ما شعرت قط قبل اليوم أن أحد يبكى من الفرح حتى رأت أبى بكر يبكى من الفرح لصحبته لرسول الله ﷺ.

وبعد هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبى بكر الصديق إلى المدينة المنورة واستقر هناك بين المهاجرين والأنصار بعث زيد بن حارثة إلى مكة ليصحب

معه بناته ﷺ، وأرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى ابنه عبدالله يطلب إليه أن يأتي ومعه زوجته أم رومان وابنتيه أسماء وعائشة، ومضى الركب المبارك صحبة فى طريق الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة حيث رسول الله ﷺ.

وهناك فى المدينة المنورة كان رسول الله ﷺ قد هيأ بيتاً لعائشة ولزوجته سودة بنت زمعة وكذلك حجرات نسائه حول المسجد النبوى، حجرات تسع من الجريد والطين والحجارة، كل أبواب الحجرات تفتح على المسجد.

وبعد وصول عائشة وأمها وأختها وبنات النبى ﷺ إلى المدينة المنورة. تم إتمام الزواج.. وفى حفل متواضع تم زفافها إلى النبى ﷺ.. ادخلتها أمها على رسول الله ﷺ وقالت لها : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهن وبارك لهن فيك.

وكان بيت عائشة حجرة شيدت حول المسجد من اللبن وسعف النخل، وفراشها من مرتبة كما نسميها حشوها الليف ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير.. وعلى فتحة الباب ستار من الشعر.

هكذا بدأت حياتها فى بيت النبوة المتواضع.. حياة حافلة بالأحداث الهامة، رغم صغر سنها، لقد اكتمل نموها فى هذا البيت واكتملت شخصيتها وتدرج إدراكها وتفكيرها، لقد كان يأتيها النبى ﷺ بصواحبها ليلعبن معها وكان يحملها على عاتقه لتطل على ساحة المسجد لترى الصبية وهم يلعبون بالحراب.

وأصبحت فيما بعد سيدة ناضجة تروى الأحاديث فى الفقه وأمور الدنيا المختلفة عن رسول الله ﷺ.. وقد أحاط بها رسول الله بالحب الوفير والرعاية.. فكانت أحب النساء إليه بعد خديجة الزوجة الأولى رضي الله عنها.

ولقد حظيت عائشة بميزات أهمها أنها الزوجة البكر الوحيدة التي تزوجها النبى ﷺ وأحبها كما أحب خديجة رضي الله عنها.

Scanned by CamScanner

عائشة وحادث الإفك

من أخطر المحن وأشهرها حادث الإفك التى وقعت للسيدة عائشة فى السنة السادسة للهجرة.

وقصة الإفك.. أيها الأبناء الإعزاء هو الإفتراء والكذب.. الذى طال السيدة عائشة ﵂ فى شرفها.. حين إتهمها المنافقين ومن شايعهم وتبعهم من المسلمين.

كان ذلك عند عودة جيش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق، وكانت عائشة ضمن الجيش مع زوجها رسول الله ﷺ.. وعند عودة الجيش منتصراً وفى الطريق قرب المدينة المنورة.. عسكر الجيش للراحة ليلاً فترة من الوقت ليلاً ثم إنصرفوا حيث المدينة، وهناك بالمدينة عندما وصل بعير -جمل- السيدة عائشة إلى بيتها لم تكن فيه!!

ثم ظهرت بعد قليل على جمل آخر يقوده رجل من الأنصار يسمى صفوان بن المعطل السلمى.

واطمأن الزوج ﷺ والمسلمون عليها ولم ينكر أحد عليها شيئاً لأنها قالت لهم : لقد تخلفت لقضاء بعض حاجتى قبل أن يؤذن فى الناس بالرحيل وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار، فلما فرغت أسل من عنقى ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل -أي الجمل- ذهبت التمس عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل فرجعت إلى المكان الذى ذهبت إليه التمسة مرة وجدته وجاء القوم وأنا بعيدة فرحلوا بعيرى - أي جملها- وأخذوا الهواج وهم يظنون أننى فيه، فاحتملوا الهواج فشدوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه. فرجعت إلى المعسكر وما فيه من داع ولا مجيب قد أنطلق الناس..!!

وبعد أن عادت السيدة عائشة إلى معسكر الجيش وقد أنصرف.. جلست فى مكانها وغطت نفسها بجلبابها.. لأنها تأكدت أنهم سوف يعودون إليها عندما يكتشفون غيابها، وهى كما هى.. جاء الصحابى صفوان السلمى

وكان قد تخلف عن المعسكر أيضا لقضاء بعض حاجته - وعرفها فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون زوجة رسول الله ما خلفك يرحمك الله؟

ولم ترد عليه إنما قرب إليها البعير وقال: اركبى.. وتأخر عنها حتى ركبت وأخذ برأس البعير وانطلق سريعاً ليلحق بالناس حتى وصل المدينة فى الصباح عقب الجيش مباشرة.

إلى هنا والأمر طبيعياً عادياً.. لكن أناسا من اليهود والمنافقين على رأسهم زعيم المنافقين عبدالله بن أبىّ بن سلول.. أخذوا ينشروا الشائعات والقصص حول ماحدث وإنه قد حدث ما حدث بين عائشة وصفوان..

وبلغ الحديث رسول الله ﷺ وأبا بكر وأم رومان، ولم يتكلم أحد مع عائشة.. وزاد الأمر إذ أنها مرضت عقب عودتها، فلم يفعل معها رسول الله كما كان عهده بها إذا مرضت أو اشتكت..

ولما رأت عائشة الجفاء فى معاملة رسول الله لها طلبت أن تذهب إلى بيت أمها لتمرضها فوافق. ومر أكثر من عشرين يوماً وعائشة لا تدرى ما يقال حولها ولا فى المدينة من الشائعات حتى أخبرتها سيدة من المسلمين تسمى أم مسطح. وهنا أدركت عائشة سر جفاء رسول الله لها فى الفترة الأخيرة بعد عودتها من غزوة بنى المصطلق.

ولقد عاش رسول الله ﷺ أياما عصيبة حتى أنه قام فى الناس خطيباً: فقد قام فى الناس يخطبهم ولا علم لعائشة بالأمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق؟ والله ما علمت منهن إلا خيراً ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى.

وكادت تقع فتنة بين المسلمين حين سمعوا ذلك من نبيهم ﷺ، حتى خرج الأوس والخزرج وهم الأنصار مطالبين برءوس أصحاب الإفك الذين أشاعوا الأكاذيب والإشاعات.

Scanned by CamScanner

وظلت عائشة فى بيت أبيها تبكى وأبواها ينظران إليها فى صمت وشفقة.

وجلس إليها رسول الله ﷺ يقول لها: «ياعائشة إنه قد كان ماقد بلغك من قول الناس فإن كنت برئية فسيرئك الله وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عبادة».

وفزعت عائشة رضي الله عنها مما سمعت من رسول الله ﷺ ولم تستطع أن تتكلم ونظرت إلى أبويها كى يجيبا رسول الله.. وصاحت فيهما: ألا تجيبان!! فقالا بصوت يشوبه الدموع: والله ما ندرى بم نجيب!!

واتجهت إلى رسول الله قائلة: والله لا أتوب إلى الله مم ذكرت أبداً والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى برئية لاقولن ما لم يكن.. ولئن أنا أنكرت ما يقولون لاتصدقونني. ولكننى سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾. ثم حولت وجهها ورقدت فى فراشها.

ولم يبرح رسول الله ﷺ من مجلسه عندها حتى تغشاه الوحى، وغطى نفسه بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه وأمسك الأبوان أنفاسهما ينتظران ما يقول الوحى من الله لرسوله ﷺ، ثم اعتدل رسول الله ﷺ وجلس يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشرى ياعائشة فقد أنزل الله براءتك. وتنفس أبو بكر فقد أزيح عنه كابوس مخيف، وقامت أم عائشة إليها فرحة وتشير عليها أن تقوم إلى زوجها رسول الله ﷺ.. فقالت لها فى إباء: «والله لا أقوم إليه فإنى لاأحمد إلا الله عز وجل هو الذى أنزل براءتي.

وخرج النبى ﷺ إلى المسجد يعلن براءة عائشة رضي الله عنها بعد أن نزل الله تعالى قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ

الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وعاشت بعد ذلك حتى توفى رسول الله ﷺ فى بيتها وفى حجرها ودفن في حجرتها.

وظلت رضي الله عنها بعد وفاة رسول الله ﷺ المرجع الأول فى رواية الأحاديث النبوية فقد حفظت ما يزيد عن الفين ومائة حديث.

وكان أكابر الصحابة يرجعون إليها يسألونها فى مسائل الفرائض.

وقالوا: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبى ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

وتوفيت رضي الله عنها وعمرها قد بلغ السادسة والستين ودفنت فى البقيع بالمدينة المنورة رضي الله عنها.

(١) سورة النور (١١ - ١٩).

Scanned by CamScanner

٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

من الحديث عن عائشة بنت الصديق إلى حفصه بنت عمر بن الخطاب.. إنها ابنة الرجل الثاني والوزير الملهم لرسول الله ﷺ، مات زوجها متأثراً بجراحه التى أصابته فى غزوة بدر، إنه الصحابى خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى القرشى.

كان عمرها حين مات عنها زوجها الأول ثمانية عشرة عاماً، وفكر والدها عمر بن الخطاب فى اختيار زوجاً لها..

فى بداية الأمر وقع اختياره على أبى بكر الصديق رضي الله عنه، فهو رغم كبر سنة تميزه السماحة فى الخلق والرقة فى الطبع والحكمة.

وذهب عمر بن الخطاب إلى أبى بكر الصديق يعرض عليه الزواج من حفصة وهو كله يقين من موافقة أبى بكر الصديق على تلك الزيجة، فابنته جميلة شابة تقية تحفظ كتاب الله.

لكن أبى بكر الصديق.. صمت ولم يجب عمر فيما عرض عليه..

وانصرف عمر تاركاً أبا بكر الصديق.. بعد أن رفض عرضه للزواج من ابنته.

وذهب عمر إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكان عثمان قد ماتت زوجته ابنة رسول الله ﷺ السيدة «رقية» بعد مرضها أثناء غزوة بدر، وتحدث عمر مع عثمان عن حفصة وعرض فكرة الزواج منها، لكن جواب عثمان كان غير متوقع لعمر بن الخطاب وطلب منه فرصة أياماً يفكر فيها..

وبعد أياماً من التفكير قال له عثمان : «ما أريد أن أتزوج اليوم».

وغضب عمر بن الخطاب لرفض الصديقين أبى بكر وعثمان للزواج من ابنته الشابة رغم أنها شابة جميلة تقية ذات خلق ودين وشرف ونسب.

وذهب عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه ما فعله أبو بكر وعثمان، وتبسم النبى ﷺ وقال لعمر :

يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة.

سبحان الله العظيم.

يتزوج حفصة خير من عثمان.. ويتزوج عثمان بخير من حفصة.

إنها ليست لغزاً.. فالذى خير من عثمان هو رسول الله ﷺ.. والتى خير من حفصة هى ابنة رسول الله ﷺ.

وفرح عمر فرحاً شديداً لذلك وخرج مسرعاً يزف خبر الخطبة المباركة إلى المدينة كلها.

وقابله أبو بكر رضي الله عنه بعد أن أعلن عمر نبأ خطبة رسول الله ﷺ لابنته حفصة رضي الله عنها هنئه على ذلك وقال له :

«لا تجد علىّ ياعمر - لاتحزن منى- فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوجتها».

وهنا عرف عمر رضي الله عنه سر رفض أبى بكر الصديق لابنته حين عرضها عليه.. لإن أبا بكر رضي الله عنه علم من رسول الله ﷺ انه يرغب فى الزواج منها وذكر ذلك له ولكنه كان سراً فأراد إلا يكشفه آلا فى حينه.

وهكذا تم زواج رسول الله ﷺ حفصه رضي الله عنها إبنة صديقه وصاحبه عمر ابن الخطاب الذى أعز الله به الإسلام.

حفصة فى بيت النبوة

دخلت العروس الجديدة بيت الزوجية.. بيت النبوة.. مع سودة وعائشة رضي الله عنهن أجمعين.. ولأن بيت النبوة أصبح به الآن ثلاث زوجات..

Scanned by CamScanner

زوجة كبيره في السن «سودة» وأخرى صغيرة فى السن «عائشة» وثالثة أيضاً صغيرة السن «حفصة» كان عمر بن الخطاب يريد ألا تحدث غيرة بين ابنته وعائشة فقال لها ذات يوم. «أين أنت من عائشة وأين أبوك من أبيها؟».

وسمع يوماً أن ابنته حفصة تراجع النبى ﷺ حتى يغضب طوال يومه.. فذهب إليها يعاتبها زاجراً لها بعد أن تأكد من صحة ما سمعه: تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بنية لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها، والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك ولولا أنا.

ومر الأيام والسنون وحفصة فى بيت النبوة تدارى غيرتها من عائشة، فهى مثل أي امرأة تغار على زوجها.. ولكنها لم تتحرج من معارضة زوجها ﷺ حين يبدو أن الأمر لا يعجبها، وتبدى له رأيها، ونرى ذلك فيما يرويه جابر بن عبدالله عن أم مبشر الأنصارية وذكره الإمام مسلم فى صحيحه أن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت رسول الله ﷺ عند حفصة يذكر أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة فى الحديبية عندما ذهبوا لأداء العمرة ومنعتهم قريش فقال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها» قالت حفصة: بلى يارسول الله.. فانتهرها النبى ﷺ فتلت الآية ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾[1] فقال النبى ﷺ قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾[2].

وفى غيرة حفصة وعائشة على النبى ﷺ تحكى كتب الحديث والسيرة أن عائشة وحفصة اتفقتا على السيدة زينب بنت جحش التى تزوجها النبى ﷺ فيما بعد كما سنعرف.. فقد كان يجلس عندها رسول الله ﷺ بعد زواجه منها ويشرب العسل الذى يحبه، واتفقتا حفصة وعائشة أن تقول كل منهن لرسول الله ﷺ حين يدخل على إحداهن وهو قادم من عند زينب بنت

(١) سورة مريم (٧١).
(٢) سورة مريم (٧٢).

جحش زوجته وقد سقته العسل تقول الواحدة له: إنى أجد ريح مغافير -أى رائحة كريهة- حتى حرم رسول الله ﷺ شرب العسل على نفسه، ونزلت آيات سورة التحريم تعاتب النبى ﷺ فى ذلك قال تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ۝١ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ۝٢ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ۝٣ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ۝٤ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا﴾[1].

وعندما اتفق نساء النبى ﷺ عليه يردن منه زيادة النعمة والتوسعة فى المعيشة، وتظاهرا عليه.. وحلف رسول الله ﷺ أن يهجرهن جميعاً شهراً واعتزلهن.. وشاع فى المدينة أن رسول الله ﷺ طلق زوجاته.. فقال عمر رضي الله عنه: خابت حفصة خسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون.

وذهب عمر رضي الله عنه إلى النبى ﷺ وسأله هل طلق نساءه فأخبره ﷺ بأنه لم يطلقهن وأنه هجرهن شهراً.

ودخل عمر على ابنته حفصة فإذا هى تبكى وسألها ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟

وقد قيل فى كتب السيرة أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها رحمة بعمر رضى الله عنه وامتثالا لأمر الله حين نزل جبريل عليه السلام بقوله له: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر. وفى رواية أخرى أن جبريل قال: ارجع حفصة فإنها صوامه قوامة[2]. وإنها زوجتك فى الجنة» رواه الطبرانى.

(١) سورة التحريم (١ -٥).
(٢) أى كثيرة الصلاة غير المفروضة وكثيرة الصيام غير رمضان المفروضة.

Scanned by CamScanner

حياتها بعد وفاة الرسول ﷺ

عاشت حفصة رضي الله عنها في بيت النبوة حتى بعد وفاة الرسول ﷺ عاكفة على العبادة صوامة قوامة، وحين جمع أبو بكر الصديق القراءات في صحف أوصى أن يكون هذا المصحف عند حفصة بعد موته رضي الله عنه، وظل عندها في خلافة أبيها عمر رضي الله عنه، وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه نسخت من المصحف نسخ وزعت على الأنصار كان المصحف الذي جمعه أبو بكر رضي الله عنه عندها أعطته لعثمان رضي الله عنه لنسخ ما يريد أن ينسخها لتوزيعه على البلاد الإسلامية وقتها.

وعاشت بالمدينة حتى توفيت في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥ ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

٥ - زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

أم المساكين زينت بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبدمناف الهلالية.

كانت زوجة عبدالله بن جحش الذي استشهد في غزوة أحد وتزوجها النبي ﷺ عقب زواجه بحفصة بنت عمر بوقت قصير.

وقد قيل أنها كانت زوجة الطفيل بن الحارث أو غيره ذكر ذلك صاحب السيرة النبوية.. ولكن الذي نرجحه ما قاله ابن حجر كتاب الإصابة أنها زوجة الشهيد عبدالله بن جحش.

ولعلنا نجد في سيرة هذه السيدة الفاضلة القليل من الأخبار لأنها لم تعش في بيت النبوة بعد زواجها من رسول الله ﷺ سوى شهور قليلة لا تزيد عن ثمانية شهور ثم ماتت وقيل أن رسول الله ﷺ تزوجها بدافع الشفقة.

ورغم اختلاف المؤرخين أبنائي الأعزاء حول السيدة زينب بنت خزيمة فيمن تزوجها قبل النبي ﷺ وهذا لا يهمنا كثيراً.. فإن المؤرخين وكتاب السيرة النبوية أجمعوا على أنها كانت ذات قلب طيب وكريمة العطاء وكثيرة العطف على الفقراء، ولقبوها بأم المساكين لذلك.

وقالوا : كان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم.

وماتت على الأرجح وعمرها ثلاثون عاما بعد زواجها بالنبي ﷺ بأشهر قليلة لا تتجاوز ثمانية أشهر تقريباً، وقد نالت شرف زواجها بالنبي ﷺ في الدنيا والآخرة، وخطيت بلقب أم المؤمنين.. صلى عليها النبي ﷺ وكانت أول أمهات المؤمنين اللائي دفن في البقيع بالمدينة المنورة رضي الله عنها وعنهن أجمعين.

Scanned by CamScanner

٦ - أم سلمة هند بنت أمية رضي الله عنها

أيها الأبناء الأعزاء.. نعيش سويا حياة سيرة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ذات النسب العريق فى قومها. من المؤمنين الأوائل هى وزوجها الأول أبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، الصحابى الجليل الذى هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

أبوها أحد رجال قريش الجوادين المشهورين بالعطاء أبى أمية بن المغيره ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشى. لقب بلقب «زاد الركب» لأنه كان لا يسافر ومعه أحد إلا كفاه من زاده.

وزوج أم سلمة الأول كان ابن عمة رسول الله ﷺ شهد غزوة بدر وأحد ومات متأثراً بجراح إصابته فى عزوة أحد.

ونعود أبنائى الأعزاء إلى قصة هجرة أم سلمة وزوجها أبو سلمة من مكة إلى المدينة، لأن ما حدث لهما مأساة، وتروى كتب السيرة أنها خرجت مع زوجها إلى المدينة المنورة ومعهما ابنهما سلمة، وشاهدها أهلها فتقدموا إليها وهى راكبة بعيرها -الجمل- وقادوا بعيرها إلى مكة مرة أخرى وغضب أهل زوجها وأخذوا ابنها سلمة منها وتنازعوا فيما بينهما هذا يريد أن يأخذ الطفل وهذا يريد أخذه حتى خلعوا يده وانطلق به أهل أبيه.. وأخذوها بنو المغيرة أهلها عندهم.. ومضى زوجها أبو سلمة فى طريق الهجرة إلى المدينة مهاجراً فى سبيل الله وظلت هى بعيدة عن ولدها وزوجها ما يقرب من العام تبكى. حتى رق لها ابن عمها وطلب من أهلها أن يتركوها تلحق بزوجها ورد أهل زوجها ابنها سلمة إليها وخرجت بمفردها فى طريق الهجرة إلى المدينة المنورة، حتى كانت بالقرب من الحدود فى منطقة تسمى التنعيم قرب مكة حتى لقيت الصحابى عثمان بن صلحة ولم يكن وقتها قد أسلم، فامسك بعيرها وأصطحبها حتى أوصلها إلى المدينة المنورة سالمة قرب قباء على مشارف المدينة.

وظلت فى المدينة بجوار زوجها وابنها حتى استشهد زوجها عقب غزوة أحد.

وتروى كتب الأحاديث الصحيحة عن أم سلمة أن أبا سلمة رضي الله عنه حدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «**ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمره الله به من قول «إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرنى فى مصيبتى وعوضنى خيراً منها إلا أجره الله فى مصيبته وكان ضمينا أن يعوضه خيراً منها**».. فلما هلك أبو سلمة ذكرت الذى حدثنى به عنه رسول الله فكنت أقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وعوضنى خيراً منها» ثم قلت: إنى أعاض خيراً من أبى سلمة؟ وأنا أرجو أن يكون الله قد أجرنى فى مصيبتى».

وذكر ابن سعد فى كتابه الطبقات أن أبا سلمة دعا لها قبل موته قائلا «اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلاً خيراً منى لا يحزنها ولا يؤذيها».

وبعد وفاة زوجها تقدم إلى الزواج منها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ورفضت برفق.

وتقدم إليها النبى ﷺ خاطباً إلا أنها تمنت ذلك ولكنها رأت نفسها قد جاوزت سن الشباب وأصبحت كبيرة السن ومعها عيال ومع النبى ﷺ زوجتيه عائشة وحفصة وسودة فأرسلت إلى النبى ﷺ تقول : إنها تغير.. وكبيرة فى السن وذات عيال. فقال عليه الصلاة والسلام لها: «**أما أنك مسنة فأنا أكبر منك وأما الغيرة فيذهبها الله عنك أما العيال فإلى الله ورسوله**».

ووافقت أم سلمة وتم الزواج فى السنة الرابعة من الهجرة فى شهر شوال على الصحيح من الأقوال.

وسكنت أم سلمة مكان السيدة زينب بنت خزيمة التى توفيت قبل زواج النبى ﷺ بها.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

Scanned by CamScanner

أم سلمة فى بيت النبوة

وعاشت أم سلمة فى بيت النبوة تقوم بواجبات الزوجية، وترعى أطفالها من زوجها أبو سلمة وتسأل رسول الله ﷺ : يارسول الله هل من أجر فى بنى أبى سلمة أن أنفق عليهم؟ ولست بتاركتهم هكذا وهكذا.. إنما هم بنى. قال : «**نعم لك أجر ما أنفقت عليهم**».

وعندما راجع عمر بن الخطاب ابنته حفصة زوجة النبى ﷺ وقال لها : يابنية إنك تراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة : والله إنا لنراجعه.. فقلت أى عمر : تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ يابنية، لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ -يقصد عائشة- ثم قال : ثم خرجت ودخلت على أم سلمة لقرابتى منها، فكلمتها فقالت له أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب، قد دخلت فى كل شئ حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟ قال عمر «فأخذتنى» والله أخذاً كسرتنى به عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها.

وكانت رضي الله عنها ذات مكان عند رسول الله ﷺ ونلحظ ذلك فيما رواه أهل السيرة من أن النبى ﷺ كان فى بيتها وعندها ابنتها زينب وجاءت السيدة فاطمة الزهراء وولديها الحسن والحسين رضي الله عنهم فضمهما إليه وتلا قوله تعالى ﴿**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**﴾ فبكت أم سلمة فنظر إليها رسول الله ﷺ وسألها فى حنو : ما يبكيك؟ قالت: يارسول الله. خصصتهم وتركتنى وإبنتى. قال : إنك وابنتك من أهل البيت.

وتربى أولاد أم سلمة من زوجها السابق أبى سلمة فى رعاية وكفالة النبى ﷺ. فأصبحوا من ربائب النبى ﷺ ومن أهل البيت رضوان الله عليهم.

وفى العام السادس من الهجرة خرج رسول الله ﷺ ومعه الصحابة إلى مكة لأداء العمرة ولكن قريش صدت الرسول وصحبه عن اداء العمرة عند

الحديبية ثم جاءت الوسطاء لحل الخلاف وانتهى الأمر بصلح الحديبية؟ واتفقوا أن تكون العمرة فى العام المقبل. وشق ذلك على الصحابة وعلى رأسهم عمر ابن الخطاب، وقال لهم رسول الله ﷺ «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**» كى يتحللوا من نسك العمرة ويعودوا إلى المدينة المنورة حسب الاتفاقية والصلح الذى عقد مع قريش إلا أن المسلمين لم يفعلوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ بيته يسلم على أم سلمة وكانت فى صحبته. وذكر لها ما حدث من المسلمين.. فأشارت عليه أن يخرج إليهم ثم يدعو الحلاق فيحلق ويأتى بالهدى -الشاه- فيذبحه.

فخرج إليهم وفعل ما أشارت عليه أم سلمة فقام المسلمون وفعلوا ما فعل رسول الله ﷺ وانتهت الأزمة.

وقد وصف المؤرخون أم سلمة أنها ذات جمال بارع وعقل راشيد ورأى صائب. وكان أبلغ دليل على رجاحة عقلها وصواب مشورتها ماحدث يوم الحديبية حيث رجع المسلمون إلى عقولهم بعد أن غلبتهم العواطف الجياشة نحو زيارة بيت الله الحرام وأداء العمرة التى جاءوا من أجلها ومنعتهم قريش من أداءها.

وصحبت أم سلمة رسول الله ﷺ فى غزوات كثيرة مثل فتح مكة وفتح خيبر وغزوة هوزان وثقيف وحصار الطائف ثم حجت معه حجة الوداع عام عشرة من الهجرة وعاشت بعد وفاة النبى ﷺ حتى ماتت بعد واقعة كربلاء التى استشهد فيها الحسين بن على رضي الله عنه، وصل عليها الصحابى الجليل أبو هريرة رضي الله عنه ودفنت بالبقيع وكانت آخر أمهات المؤمنين موتاً رضي الله عنهن أجمعين.

Scanned by CamScanner

٧ - زينب بنت جحش رضي الله عنها

لقد اختلف زواج النبى ﷺ من السيدة زينب بنت جحش عن جميع زيجاته السابقة واللاحقة من أمهات المؤمنين بخاصية فريدة من نوعها، فكل الزيجات السابقة والتى ستأتى بعد كان الذى يتولى أمر العقد فى الزواج رسول الله بصفته الزوج وأحد أقارب العروس وكيلاً عنها فى العقد، أما السيدة زينب بنت جحش فإن الذى أمر بزواجها من رسول الله ﷺ ماشرة هو الله سبحانه وتعالى وأنزل فى ذلك قرآنا يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾(١).

وجاء زواج النبى ﷺ من السيدة زينب بنت جحش ليبطل عادة التبنى التى كانت سائدة فى الجاهلية. وتعود إلى الوراء قليلاً قبل بعثة النبى ﷺ فى الجاهلية.. حيث خرجت أم زيد بن حارثة لزيارة أهلها بنى معن بن طىء.. وخطف بعض الرجال ابنها زيد منها وباعوه كعبد فى السوق واشتراه رجل من قريش يدعى حكيم بن حزام بن خويلد الأسدى.. وزيد ليس عبداً وإنما حر ولكن سقط فى أيدى الخطافين الذين يتاجرون قديماً فى العبيد. واسمه زيد بن حارثه بن سراحيل بن كعب الكلبى وكان الذى اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخو السيدة خديجة زوجة النبى ﷺ وقتها واشترت منه الغلام «زيد» وأعطته هى بدورها إلى زوجها محمد ﷺ على سبيل الهبة فأصبح ملكاً له.

وبعد فترة مكث فيها زيداً مع رسول الله ﷺ ورأى حسن صحبته وأنه يعامله معاملة الأحرار وليس العبيد، يعامله مثل ابنه تماماً.. وفى نفس الوقت كان أبو زيد بن حارثة يبحث عن ولده ورآه بعض أقاربه فى مكة.. وأخبروا

(١) سورة الأحزاب (٣٧).

والده «حارثة» الذى جاء مع إخوانه إلى مكة حيث يعيش محمد ﷺ وقال له: يا ابن عبدالمطلب يا ابن سيد قومه، أنتم جيران الله تفكون العانى وتطعمون الجائع وقد خبرتك فى ابننا تتحسن إلينا فى فدائه.

قال ﷺ : أو غير ذلك؟

قال : ماهو؟

قال : ادعوه وأخبره فإن اختاركما فذاك، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحد.

قال حارثة : قد زدت على النصف.

ودعى زيد مفرق أباه وعمه وخيره النبى ﷺ إن شاء ذهب معهما وإذا أحب قام معه.

فاختار زيد بن حارثة البقاء مع النبى ﷺ وقال لأبيه وعمه: إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً وما أنا بالذى أفارقه أبداً.

وعند ذلك أخذ محمد بيده وقام إلى الملاء من قريش وأشهدهم أن زيداً ابنه وارثاً وموروثاً. وكانت تلك العادة وهي التبنى فى الجاهلية وصدر الإسلام أمرًا طبيعياً.. وأصبح اسم زيد بن حارثة «زيد بن محمد».

وكان زيد من السابقين الذين دخلوا الإسلام كان رابع من أسلم. ولما بلغ سن الزواج اختار له النبى ﷺ بنت عمته أميمة بنت عبدالمطلب : زينب بنت جحش. ولم ترض زينب بنت جحش بزيد زوجاً لها وكذلك أخوها عبدالله بن جحش لأن زيداً كان مولى رسول الله ﷺ رغم أن أصله عربى ونزل قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنة إذا قضى اللهُ ورسولُهُ أمراً أن يكون لهم الخيرةُ من أمرهم ومن يعصِ اللهَ ورسولَه فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾(١).

أمام أمر الله ورسوله تزوجت زينب بنت جحش زيد بن محمد بالتبنى.

(١) سورة الأحزاب (٣٦).

Scanned by CamScanner

فكان زواجها بأمر النبى ﷺ وطاعة لأمر الله أيضًا فطاعة الرسول من طاعة الله سبحانه وتعالى وفى حياتها الزوجية مع زيد لم تنس زينب بنت جحش أنها تزوجت من عبد... وكانت تعامله معاملة قاسية اشتكى منها زيد لرسول الله ﷺ كثيراً، إلا أنه كان يقول له : اتق الله وأمسك عليك زوجك.. فإن زيداً يريد أن يطلقها ولكن رسول الله ﷺ يطلب منه إبقاءها.

ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أمر آخر غير الذى يريده رسول الله ﷺ يريد أن يبطل عادة التبنى وأن يعلم المسلمون أن زيداً ليس ابنًا لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان الأمر الإلهى بطلاق زيد من زينب بنت جحش ثم زواج النبى ﷺ منها فيكون هو القدوة فى إبطال عادة التبنى ونزل فى ذلك الآيات التى ذكرناها من سورة الأحزاب.

زينب بنت جحش فى بيت النبوة

دخلت السيدة زينب بنت جحش بيت النبوة بأمر الله سبحانه وتعالى وكان ذلك بعد زواجه ﷺ من السيدة أم سلمة ومن يوم دخولها بيت النبوة حتى فرض الله الحجاب على نساء النبى ﷺ، كان ذلك فى السنة الخامسة من الهجرة. وهي تبلغ من العمر خمسًا وثلاثين عاماً. وكان اسمها «برة» فسماها ﷺ «زينب» كما ذكر ذلك البخارى ومسلم من حديث زينب بنت أبى سلمه ربيبة النبى ﷺ قالت: «كان إسمى برَّة فسمانى رسول الله ﷺ زينب. ودخلت عليه زينب بنت جحش واسمها برَّة فسماها زينب».

وغارت نساء النبى ﷺ من زينب بنت جحش فهى ذات جمال وشرف وقربى من رسول الله ﷺ وأيضاً أن الذى زوجها هو الله سبحانه وتعالى.

وكانت زينب بنت جحش تفخر بذلك وتقول لهن: «زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات»(١).

(١) صحيح البخارى.

وقالت عنها عائشة ﷺ: «لم تكن واحدة من نساء النبى تضاهينى غير زينب»(١).

واتفقت السيدة عائشة وحفصة وأم سلمة عليها لأن النبى ﷺ كان يجلس عندها ويطيل الجلوس أو كانت تقدم له شراب العسل الذى يحبه فاتفقن الثلاثة على أن يقلن للنبى ﷺ إذا دخل على إحداهن وهو قادم من عند زينب بنت جحش: «إنى أجد ريح مغافير أى رائحة كريهة». حتى حرم النبى ﷺ أكل العسل عندها ونزل قوله تعالى فى سورة التحريم عتاب النبى على تحريم ما أحل الله له مرضاة لزوجاته وقد ذكرنا القصة قبل ذلك.

وكانت ﷺ صالحة تقية ورعه دافعت عن عائشة ﷺ فى محنتها فى حادثة الإفك التى ذكرناها من قبل.

وقالت عنها السيدة عائشة : لم أر امرأة خيراً فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به إلى الله.

وقال عنها ﷺ لعمر بن الخطاب : «إن زينب بنت جحش أواهة».

قال رجل : يارسول الله : ما الأواه.

قال : الخاشع المتضرع ثم تلا قوله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾(٢).

قالت عنها أم سلمة : «كانت زينب لرسول الله ﷺ معجبة وكان يستكثر منها، وكانت صالحة قوامة صوامة صناعاً وتتصدق بذلك كله على المساكين».

وعاشت حياتها بعد وفاة النبى ﷺ عابدة لله سبحانه وتعالى وكانت أول نسائه لحوقا به فقد قال ﷺ لنساءه: «أسرعكن لحاقاً بى أطولكن يداً» أى

(١) السيرة النبوية لابن هشام.
(٢) سورة هود (٧٥).

Scanned by CamScanner

أكثركن صدقة على الفقراء والمساكين فكانت رضي الله عنها كثيرة الصدقة حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرسل إليها عطاءها وكان اثنى عشر ألفًا فجعلت تقول : اللهم لا يدركنى هذا المال فى قابل، فإنه فتنة» ثم قسمته ووزعته فى أهلها وأهل الحاجة الفقراء.

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فوقف ببابها وأرسل إليها السلام وقال :

بلغنى ما فرقت فأرسل ألف درهم تستبقيها، وأرسل الألف فتصدقت بها جميعاً لم تبق منها درهماً.

وحضرتها الوفاة سنة عشرين من الهجرة فقالت لمن حولها:

إنى قد أعددت كفنى وإن عمر أمير المؤمنين سيبعث إلىّ بكفنى فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوى فافعلوا».

وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة.

فكانت أول نساء النبى ﷺ موتاً بعده ﷺ ورضي الله عنهن أجمعين.

٨ - جويريه بنت الحارث الخزاعية رضي الله عنها

قالوا عنها: إنها أعظم امرأة بركة على قومها أعتق بزواجها رسول الله ﷺ مائة من أهل بنى المصطلق. إنها جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه من بنى المصطلق.

وكيف حدث ذلك؟!.

فى العام السادس من الهجرة وبعد غزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة وغزوة بنى لحيان وغزوة ذفرد. علم رسول الله ﷺ أن حى من خزاعة هم بنى المصطلق يستعدون لقتاله بقيادة زعيمهم الحارث بن أبى ضرار بن حبيب المصطلقى الخزاعى.. وخرج إليهم رسول الله ﷺ ومعه الجيش الإسلامى وقاتلهم وانتصر عليهم عند منطقة تسمى المريسيع.

وتم أخذ نساء بنى المصطلق سبايا كما يحدث فى الحروب ومن بينهم بنت قائدهم وزعيمهم جويرية وكان اسمها وقتها «برة».

وعند توزيع الغنائم والسبايا وقعت جويرية من نصيب الصحابى ثابت ابن قيس بن شماس الأنصارى وكاتبها على نفسها، أى أنها اتفقت معه على مبلغ من المال كى تفدى نفسها من الأسر والعبودية.

وذهبت جويرة إلى رسول الله ﷺ تسأله أن يعينها على فك أسرها..

وتحكى السيدة عائشة ما حدث..

بينما النبى ﷺ جالس فى حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها سمعت امرأة تستأذن فى لقائه ﷺ وقامت إليها عائشة فرأت شابة حلوة مفرطة فى الملاحة نحو العشرين من عمرها لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ترتجف قلقاً وذعراً تريد مقابلة النبى ﷺ ودخلت الشابة المليحة جويرية فى ضراعة وعزة نفس تقول : يارسول الله أنا بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه وقد أصابنى من

Scanned by CamScanner

البلاء ما لم يخف عليك نفسي، فجئتك استعينك على أمري».

ورق قلب النبي ﷺ لها، وأراد لها الخير كل الخير لها ولأهلها فقال لها: فهل لك في خير من ذلك.

سألت : وما هو يارسول الله؟

قال ﷺ : أقضي عنك كتابتك وأتزوجك.

ووافقت وهي لا تكاد تصدق هذا العرض العظيم لها.

وقد قيل أيضا أن أباها الحارث جاء إلى النبي ﷺ ومعه فداء ابنته من الأسر وقد أخفى الفداء في أحد شعاب مكة، وعرض على النبي ﷺ أن يفديها ويخلي سبيلها فقال له ﷺ : أرأيت إن خيرتها اليس قد أحسنت. قال: بلى. فأنا أبوها. فذكر ذلك لها فقالت له: اخترت الله ورسوله... وسأل رسول الله ﷺ أباها عن الفداء الذي أخفاه في أحد شعاب مكة فعلم أنه علم ذلك من الله فأسلم. وزوجه ابنته وكان مهرها أربعمائة درهم.

جويريه فى بيت النبوة

كان لزواج جويرية من رسول الله ﷺ الأثر البالغ عند أهلها، فقد أطلق المسلمون الأسرى من أهلها بني المصطلق تكريماً لها ولزواجها من رسول الله ﷺ فكانت بركة على أهلها.

وكانت قبل زواجها زوجة لابن عمها مانع بن صفوان المصطلقي وقتل يوم غزوة بني المصطلق.

وعاشت في بيت النبوة حتى توفي رسول الله ﷺ وتوفيت في عهد معاوية بن أبي سفيان بالمدينة وهي تبلغ من العمر خمسًا وستين أو سبعين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

٩ - صفية بنت حيي رضي الله عنها

في العام السابع الهجري بعد حرب بني المصطلق وزواج النبي ﷺ من ابنة سيد بني المصطلق جويرية رضي الله عنها، خرج ﷺ والجيش الإسلامي لمواجهة يهود خيبر في أول العام السابع منتصف شهر المحرم.

وعندما شارف الجيش حصن بني خيبر قال ﷺ : الله أكبر... خربت خيبر. إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

وتم حصار حصون خيبر.. وفتحها الله على المسلمين حصناً حصناً وقتل رجالها وسبي نسائها ومن الأسرى كانت صفية بنت حُيَيّ بن أخطب التي ينتهي نسبها إلى هارون أخو موسى عليهما السلام وأخذ بلال رضي الله عنه الأسيرتين صفية وابنة عمها ومر بهما على القتلى من قومهما فجذعت صفية لما رأته وصرخت ابنة عمها وصاحت وأخذ تحثو على رأسها التراب. وظلت تصرخ وتبكي وجيء بهما إلى النبي ﷺ فقال :

أغربوا عني هذه الشيطانة.

ثم نظر إلى صفية نظرة رحيمة معاتباً بلالا. أنزعت يابلال منك الرحمة حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما. ثم أمر بصفية فجعلت خلفه وألقى عليها رداءه وهذا إعلاماً منه بأنه اصطفاها لنفسه. ثم أعتقها ﷺ وعرض عليها الزواج فوافقت وكان صداقها عتقها. ثم دفعها إلى أم سليمة كي تهيئها وتعدها إلى الزواج.

صفية فى بيت النبوة

وأقيمت ليلة العرس بوليمة جاء الرجال بما عندهم من طعام جعلوا يقدمونه وليمة العرس.

Scanned by CamScanner

ورغم صغر سنها وقتها حيث جاوزت السابعة عشرة ولكنها تزوجت مرتين قبل رسول الله ﷺ وقتل زوجها فى غزوة خيبر والتى أسرت فيها.

وفى ليلة العرس خاف المسلمون على رسولهم وقائدهم ﷺ من غدر اليهود وأن تقتل صفية رسول الله ﷺ كما حولت امرأة يهودية هى زينت بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم أحد زعماء اليهود التى أهدت النبى ﷺ شاة مسمومه وضعت السم فى الزراع الأيمن الذى يحبه رسول الله ﷺ ولكن الشاة نطقت وأخبرت رسول الله ﷺ أنها مسمومة. وأتى بالمرأة واعترفت بذلك وقالت له : إن كنت نبياً فستخبر وإن كنت ملكاً استرحت منك.

لذلك وقف أبو أيوب خالد بن زيد يقظان على خيمة العرس التى بها رسول الله ﷺ وعلم ﷺ بذلك ودعا له على ما فعل من خوفه عليه والسهر عليه.

وعاد جيش الإسلام إلى المدينة منتصراً ومعه رسول الله ﷺ وزوجته الجديدة من يهود خيبر وقد أسلمت.

وحين دخل على عائشة رضي الله عنها بزوجته الجديدة قال لها ﷺ : «كيف رأيت ياشقراء».

قالت : وهى تهز كتفها : رأيت يهودية بين يهوديات.

ورد عليها ﷺ : لا تقول ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها.

ولم تعلق عائشة بكلمة وانصرفت.

وانتقلت صفية رضي الله عنها إلى بيت النبوة وكانت نساء النبى ﷺ عائشة وحفصة رضي الله عنهما يفخرن بأنهن قرشيات عربيات، فأخبرت صفية رضي الله عنها ما سمعت منهن وهى تبكى فقال لها ﷺ :

ألا قلت : وكيف تكونان خيراً منى وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى. فكان كلامه هذا بلسماً شافياً لها، وكان ﷺ يدافع عنها عند نسائه ودوماً. ولم تحرم صفية من حمايته ﷺ حتى آخر أيامه.

وفى مرض موته قالت له صفية : إنى والله يانبى الله لوددت أن الذى بك بى. فما كان من أزواجه إلا أن غمزن ببصرهن.

فقال لهن ﷺ : مضمضن!!

وتساءلن فى دهشه! من أى شىء؟

قال : من تغامزكن بها.. والله إنها لصادقة.

وعاشت صفية بعد وفاة رسول الله ﷺ فى المدينة حتى لحقت بربها فى عهد معاوية بن أبى سفيان ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً.

Scanned by CamScanner

١٠ - أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضي الله عنها

أنها ابنة زعيم الكفار بمكة قبل الفتح، أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية، أسلمت هى وزوجها الأول عبدالله بن جحش الأسدى ابن عمة رسول الله ﷺ وهو أخو زينب بنت جحش زوجة النبى ﷺ.

هاجرت إلى الحبشة مع زوجها وعاشت هناك فى أمان وأنجبت هناك ابنها «حبيبة» ولكن حدث لها ما أفزعها وأصابها بالحزن والأسى!! لقد ارتد زوجها عن الإسلام ودخل فى النصرانية دين أهل الحبشة وحاول أن يردها عن دينها، ولكنها صبرت وصمدت وتركت زوجها.. وأغلقت على نفسها بابها.. ولا تستطيع العودة إلى وطنها وما زال أهل الشرك يسيطرون عليها ويحاربون الإسلام.

ومرت فترة وهى فى محنتها وعزلتها حتى جاء الخبر من النجاشى ملك الحبشة أن النبى ﷺ وسلم يخطبها ويريد الزواج بها.

وفرحت لذلك.. وتم عقد الزواج هناك فى الغربة وكان النجاشى ملك الحبشة وكيل رسول الله ﷺ واختارت أم حبيبة خالد بن سعيد بن العاص بن أمية كبير المهاجرين من قومها بنى أمية وكيلاً لها فى عقد الزواج.

وتم الزواج على صداق قدره أربعمائة دينار وبقيت أم حبيبة هناك فى الحبشة إلى أن استقر الأمر لرسول الله ﷺ بالمدينة والنصر فى غزوة الأحزاب والنصر فى غزوة خيبر وعند عودته من غزوته خيبر وقد تزوج رسول الله ﷺ من صفية بنت حيى إلا وقد عاد المهاجرون من الحبشة وكانوا ستة عشر رجلاً وفيهم السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان زوجة النبى ﷺ التى لم يدخل بها. بعد أن عقد عليها منذ بضع سنين وهى فى الحبشة.

أم حبيبة بنت أبى سفيان فى بيت النبوة

إسمها «رملة» وكنيت «بأم حبيبة» على اسم ابنتها التى وضعتها فى الحبشة من زوجها المرتد الأول.

واحتفل المسلمون بقدوم أم حبيبة إلى المدينة وبزفافها إلى النبى ﷺ. وعاشت فى بيت النبوة سعيدة بعد أن لاقت آلام الغربة من أجل الدين.

وعندما نقضت قريش صلح الحديبية وأراد النبى ﷺ فتح مكة المكرمة وخرج أبو سفيان من مكة يريد المدينة وتسلل إلى بيت ابنته أم حبيبة كى تتوسط لديه عند محمد ﷺ، وفوجئت به يدخل بيتها وهو على الكفر، وأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ، فأخذت الفراش من تحته وطوته فقال لها: أطويته يابنية رغبة بى عن الفراش أم رغبة بالفراش عنى.

قالت: هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك فلم أحب أن تجلس عليه.

فقال لها: لقد أصابك يابنية بعدى شر.

وذهب أبو سفيان إلى النبى ﷺ يكلمه فى العهد الذى بينهما من صلح الحديبية فلم يجبه بشىء.

ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب فرد عليه فى غلظة وجفاء وكذلك على ابن أبى طالب.

فقال: ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

وعاد أبو سفيان إلى مكة دون الحصول على وعد بالهدنة وعلى الصلح الذى نقضته قريش.

وجهز رسول الله ﷺ الجيش متجهاً إلى مكة فاتحاً، وقد تم له ذلك دون قتال. وأسلم أبو سفيان يوم الفتح.

Scanned by CamScanner

وعاشت أم حبيبة بنت أبى سفيان سيدة تقية عابدة لله بعد وفاة النبى ﷺ . وتوفت بالمدينة المنورة عام اربعة وأربعين من الهجرة ودفنت بالبقيع مع زوجات النبى ﷺ رضي الله عنهن أجمعين.

١١ - ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

إنها ميمونة بنت الحارث الهلالية أخت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين التى ماتت فى حياة النبى ﷺ خامس أمهات المؤمنين رضي الله عنهن من أمها.

كانت تسمى «برة» وسماها النبى ﷺ «ميمونة» إنها سيدة من أكرم سيدات مكة المكرمة، ظلت مقيمة بمكة حتى دخلها النبى ﷺ والمسلمون لأداء عمرة القضاء بعد صلح الحديبية عام سبعة من الهجرة وتزوجها بعد قضاء العمرة بمكة ثم دخل بها فى «سرف» قرب التنعيم على حدود مكة، ثم ذهب بها إلى المدينة حيث قامت هناك مع أمهات المؤمنين.

وشقيقتها أم الفضل زوجة عم النبى ﷺ «العباس» وهى ثان امرأة بعد خديجة رضي الله عنها آمنت وأسلمت، وأختها لأمها أسماء بنت عميس وسلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبدالمطلب. وقد سماهن رسول الله ﷺ «بالأخوات المؤمنات».

وكانت ميمونة رضي الله عنها زوجة لأبى رهم بن عبدالعزى العامرى قبل زواجها بالنبى ﷺ ومات عنها وتزوجها النبى ﷺ وعمرها ستة وعشرون عاماً. وجعلت أمرها إلى زوجة أختها العباس عم النبى ﷺ فانكحها له وليًا عنها وأصدقها عن أربعمائة درهم وسماها ﷺ ميمونة.

وقد رفضت قريش أن يظل النبى ﷺ أكثر من ثلاثة كما كان تنص المعاهدة لأداء العمرة حتى يتم زواجه من ميمونة رضي الله عنها.

السيدة ميمونة فى بيت النبوة

وعاد النبى ﷺ ومعه السيدة ميمونة إلى بيت النبوة بالمدينة المنورة، وعاشت مع النبى ﷺ حتى مرض فى بيتها ثم انتقل إلى بيت عائشة وتوفى

Scanned by CamScanner

هناك فى حجرة السيدة عائشة ودفن فيها.

وعاشت ميمونة بعده خمس سنوات وماتت فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

فهرس الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة
المقـدمـة	٣
زوجة أبو البشـر آدم عليه السلام	٥
زوجة شيث علـيه السلام	١٧
زوجة نبى الله ادريس عليه السلام	٢١
زوجة نوح عليه السلام عمذرة ابنة براكيل	٢٧
الزوجتان المطيعتان لزوجهما سارة وهاجر	٣٥
زوجتى نبى الله إسماعـيل عليه السلام	٤٩
زوجات إسـحاق وأولاده	٥٥
إمرأة لوط عليه السلام	٥٩
زوجة يوسف عليه السلام	٦٧
زوجة نبى الله أيوب عليه السلام	٧٥
زوجة نبى الله موسى عـليه السلام	٨١
زوجـة نبى الله داود عليه السـلام	٩١
زوجة سليـمان بن داود عليهمـا السلام	٩٧
زوجة نبى الله زكريا وأم نبى الله يحـيى عليهم السلام	١٠٣

Scanned by CamScanner

الموضـــوع	الصفحة
زوجات الرسول ﷺ	١٠٧
خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	١٠٩
- لقاء وتعارف	١٠٩
- خديجة والدعوة الإسلامية	١١٢
سودة بنت زمعة العامرية رضي الله عنها	١١٣
- حياة سودة قبيل زواجها بالنبى ﷺ	١١٥
- سودة بنت زمعة فى بيت النبوة	١١٥
عائشة بنت أبى بكر رضي الله عنها	١١٧
- عائشة قبل الزواج بالنبى ﷺ	١١٨
- عائشة وحادث الإفك	١٢٠
حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها	١٢٤
- حفصة فى بيت النبوة	١٢٥
- حياتها بعد وفاة الرسول رضي الله عنه	١٢٨
زينت بنت خزيمة رضي الله عنها	١٢٩
آم سلمة هند بنت أمية رضي الله عنها	١٣٠
زينت بنت جحش رضي الله عنها	١٣٤

الموضـــوع	الصفحة
- زينب بنت جحش فى بيت النبوة	١٣٦
جويرية بنت الحارث الخزاعية رضي الله عنها	١٣٩
- جويرية فى بيت النبوة	١٤٠
صفية بنت حُيى رضي الله عنها	١٤١
- صفية فى بيت النبوة	١٤١
أم حبيبة رمله بنت بنت أبى سفيان رضي الله عنها	١٤٤
- أم حبيبة بنت أبى سفيان فى بيت النبوة	١٤٥
ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها	١٤٧
- السيدة ميمونة فى بيت النبوة	١٤٧
الفهارس	١٤٩

تنفيذ كمبيوتر
عبدالحميد أحمد

Scanned by CamScanner

امام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

Scanned by CamScanner

هـــذا الكتـــاب

- تاريخ عظيم لزوجات الأنبياء والمرسلين.
- ماذا تعرف عن جنة آدم عليه السلام؟ وماذا فعلت حواء مع إبليس؟
- هاجر تشارك فى بناء الكعبة مع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.
- ماذا تعرف عن زوج «أيوب» المؤمنة الصابرة وعن زوج «لوط» الكافرة الفاجرة.
- راحيل زوج النبى يعقوب وأم النبى يوسف ملك مصر عليه السلام والرؤيا الصالحة.
- زوج موسى عليه السلام «صفورا» والبئر والصخرة والوحى فى الصحراء.
- زكريا فى المحراب ومريم فى المحراب.. والبشارة العُظمى لآل عمران..
- كتابنا عظيم الفائدة مبارك الأخبار شيق فى قراءته لذا لا غنى عنه لكبير أو صغير.

الناشـــر
توفيق شعلان

المكتبة التوفيقية
المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

Scanned by CamScanner

زوجات الأنبياء والرسل

منصور عبد الحكيم

المكتبة التوفيقية

Scanned by CamScanner